الفصل الأول

حياة السادات بين الحقيقة والإدعاء

تعرضت سيرة السادات وحياته ومشروعه السياسي ومنهجه في إدارة شؤون البلاد لعديد من التشوهات والادعاءات ونقص الموضوعية و«التناقض» في الروايات والأحداث، وهذا «التناقض» يرجع إلى أمرين مهمين: أحدهما يرجع إلى السادات (١٩١٨ – ١٩٨١) نفسه، فقد كتب وروى عن حياته ومنهجه بعديد من الروايات والأحداث، والتي استبان منها التناقض، وإظهار «البطولة».. فقد دأب في الآونة الأخيرة من حياته وبالتحديد منذ ١٩٧٤ وما بعدها، واتخذ لنفسه عادة جديدة في الاحتفال بعيد ميلاده يوم «٢٥ ديسمبر» كان يعود في ذلك اليوم – كما يقول محمَّد حسنين هيكل في كتابه «خريف الغضب» إلى القرية التي ولد فيها وهي قرية «ميت أبو الكوم»، وهناك وأمام عدسات التليفزيون

وتحت أضوائه الباهرة يجلس مرتديًا «جلابية ريفية» أنيقة التفصيل، وعباءة عربية فاخرة ليحكي على امتداد ساعتين أو ثلاث ذكريات حياته ..والمشكلة أنه لم تتوافق روايتان قط من الروايات التي كان يحكيها، فقد كان في كل سنة يضيف ويحذف، بل ويتناقض في روايته لقصته عن الطريقة التي قدمها من قبل.. بل وأحياناً كانت القصص الجديدة تتصادم بقسوة مع ما سبق له هو أن قاله أو كتبه فيما أدلى به من أحاديث أو ما كتبه من مقالات في عديد من الصحف والمجالات التي كان يسيطر عليها أو يرعاها، «ويمكن أن يقال إنه كان يكتب قصة حياته من جديد مرة كل سنة»[1].

السادات في حديثه للتليفزيون المصري مع همت مصطفى

انضاف إلى ذلك ما ألفه من كتب بعد قيام الثورة، وفي عهد عبد الناصر، ومنها «صفحات مجهولة»، وكتاب «يا ولدي هذا عمك جمال»، و«أسرار الثورة المصرية بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية»، غير العديد من «المقالات الصحفية» والتي كتبها في بواكير الثورة، وما كتبه

(١) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب – قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات – الطبعة الأولى في مصر ١٤٠٨ – ١٩٨٨م – الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر – مؤسسة الأهرام ص ٣١.

بعد ذلك، وبعد أنّ حكم مصر بعد وفاة عبد الناصر ولاسيما كتابه الأشهر «البحث عن الذات» ، والذي صدر عام ١٩٧٨، حيث كان بين الفترتين بونًا شاسعًا من الكتابة وطرح القضايا وتزويقها..!!!

الأمر الثاني: أن هناك العديد من المؤلفين والباحثين والصحفيين تناول سيرة السَّادات وحياته ومنهجه على نحو متناقض أشد التناقض ومتنافر أشد «التنافر» !! فكان هناك من كال له التهم وصب عليه جام غضبه وهجاه ونقده نقدًا مبرحًا أظهره في صورة أنه «ممثل» و«مسرحي» و«بهلوان» ، وأنه لم يظهر حقيقة نشأته كما حدثت بالفعل، وجافى الحقيقة الواقعية الحياتية له، والمثال على ذلك كتاب محمد حسنين هيكل «خريف الغضب» ، وكتاب غالي شكري «الثورة المضادة في مصر» وعلى نحو آخر كتاب خالد محيى الدين والمعنون «مستقبل الديمقراطية في مصر».. إلخ.. بينما أظهره كتابه ومحبوه في صورة طيبة أقرب إلى الأسطورة، بعد أن وصفوه بأفضل الأوصاف وأجمل الصفات وأجمل المحامد ، والمثال على ذلك ما كتبه موسى صبري (١٩٢٥-١٩٩٢) في سفره الكبير «السادات الحقيقة والأسطورة» ، وكتاب محمود جامع «عرفت السادات»(*).

- ولو حاولنا تأريخ حياة السادات (١٩١٨ - ١٩٨١) في سطور لقلنا:-

إنه ولد في ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨ بقرية «ميت أبو الكوم» بالمنوفية ، وبدأ دراسته بكتاب القرية وحفظ القرآن الكريم بالمنوفية، ثم التحق بمدرسة طوخ الابتدائية ثم بمدرسة الجمعية الخيريّة الإسلاميّة ثم بمدرسة

(*) وقد قرأت مؤخرًا كتابًا للدكتور أحمد عبد اللطيف شيحة بعنوان «بين العصرين» الناشر دار المعارف عام ٢٠٠٧.. يفصل فيه بين عصر عبد الناصر وعصر السادات.. حيث اعتبر عصر عبد الناصر كله سلبيات وكوارث وشعارات جوفاء، واعتبر أن التأميم كان كارثة ، بينما ذكر عصر السادات بأنه عصر إيجابيات وحنكة سياسية وبراعة في الحكم، ويبدو أن صداقة السادات لوالده كان لها تأثير في حكمه - انظر التفاصيل في كتاب بين العصرين.

فؤاد الأول الثانوية ثم بالمدرسة الحربية ، والتي تخرج منها عام ١٩٣٨م[١].

وكانت الدفعة التي تخرج منها «أنور السادات» من المدرسة الحربية مدتها ستة عشر شهرًا.. والتحاقه بالمدرسة الحربية – كما يذكر فؤاد شاكر – يحدد ويبين بعض ملامح الصورة التي كان عليها المجتمع المصري «الطبقي» آنذاك ، حيث كان القبول والالتحاق بالمدرسة الحربيّة مرهونًا بموافقة إبراهيم باشا خيري ، فكيف لموظف صغير مثل والد أنور السادات أن يصل إلى خيري باشا أحد النخب الحاكمة «الأرستقراطية» المتزوج من العائلة الملكية[٢].

-يقول السادات في كتابه «البحث عن الذات» موضحًا هذا الوضع الطبقي «وأخيرًا اهتدى والدي ببساطته المعهودة إلى أنه أيام خدمته في السودان كان يعرف أحد الصولات.. وتصادف أن كان هذا الصول في خدمة إبراهيم باشا، فرتب لي ولوالدي- لا أعرف كيف – فرصة للقاء إبراهيم باشا.. وذات صباح توجهت مع والدي إلى قصر الباشا في حدائق القبة أحد أحياء القاهرة الأرستقراطية في ذلك الوقت.. وخلف الفيلا الأنيقة وقفنا في الأنتريه.. هكذا كان الترتيب ، بحيث أن يمر علينا الباشا في طريقه إلى الخروج، فنستلفت نظره، ويسألنا عما نريد.. وفعلًا نزل الباشا بعد قليل ،

(١) فؤاد شاكر : حصاد القرن العشرين – رجال صاغوا القرن – الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠١ ص٥١.

(٢) فؤاد شاكر: حصاد القرن العشرين «رجال صاغوا القرن» ص ٥١.

واقترب منه الصول وهمس في أذنه ببعض كلمات. التفت بعدها إبراهيم باشا إلى والدي، وقال له بكل عنجهية: «آه.. آه.. أنت باشكاتب القسم الطبي.. ودا الولد ابنك اللي.. طيب.. طيب..»، ومضى مُسرعًا نحو الباب.. وأبي يسير خلفه وهو يتمتم بكلمات لم أدركها، ولا أحسب أنه هو نفسه كان يدرك ما يقول.. تجربة لم تبرح وجداني أبدًا، ولا أظن أني سأنساها مدى الحياة، فقد كانت أول مرة أدخل فيها بيت باشا أو ألتقي بأحد أفراد هذه الطبقة..»[1].

-ويقبل محمّد أنور السادات بالمدرسة الحربية، وبعد التخرج في شهر فبراير ١٩٣٨ ، وعُين في منطقة المكس حتى يوليو من العام نفسه، نُقل السادات بعدها إلى منقباد، وظل بها حتى أكتوبر ١٩٣٩، وهناك كان لقاؤه الأول مع جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) وزملائه ، والذي سيؤدون دورًا خطيرًا وهامًا في تاريخ مصر الحديث.[2]

النحاس باشا

-عرف الإنجليز كراهية أنور السادات (١٩١٨ – ١٩٨١) لهم ، ونشاطه المستمر ضدهم، فأوعزوا إلى قيادة الجيش بمحاكمته عسكريًّا – كما ذكر شاكر في كتابه حصاد القرن العشرين – وفُصل السادات من الجيش بعد اعتقاله في معتقل ماقوسه بالمنيا، وكان – وقتئذ – برتبة يوزباشي بسلاح الإشارة «نقيب» ، وعندما أقيلت وزارة مصطفى النحاس باشا «١٨٧٩-١٩٦٥» في أكتوبر ١٩٤٤ لم يستطع رئيس الوزراء التالي

(١) أنور السادات: البحث عن الذات- قصة حياتي – مجلد – المكتب المصري الحديث – بدون تاريخ – ص٢٦.

(٢) فؤاد شاكر: مرجع سابق ذكره – ص ٥٣.

أحمد ماهر باشا (١٨٨٨-١٩٤٥) الإفراج عن السادات ضمن الذين تقرر الإفراج عنهم من المعتقلين السياسيين، لأن السادات (١٩١٨-١٩٨١) كان معتقلاً بأمر الإنجليز، ولكنه تمكن من الهرب بوضع خطة نفذها بنجاح في نوفمبر ١٩٤٤، فأصبح مطاردًا من الشرطة، حيث افتتح مع زميله الضابط السابق المطرود من الجيش لنشاطه الوطني الطيار – حسن عزت – مكتبًا صغيرًا للمقاولات باسمين مستعارين: السادات باسم محمّد نور الدين، وعزت باسم المعلم إبراهيم بهجت المقاول[١].

أمين عثمان

-ثم ظهر اسم أنور السادات في عام ١٩٤٦ بين أسماء المتهمين بقتل أمين عثمان باشا (١٨٩٨ – ١٩٤٦)، وكان وزيرًا للمالية في حكومة الوفد ومن غلاة المؤيدين لبريطانيا «العظمى» واحتلالها لمصر بزعم أنها تحمي البلاد وتصلح شؤونها، وتوفر الأمن والتنوير لأبنائها.

-وفي ظهر يوم السبت ٦ يناير ١٩٤٦ ذهب أمين عثمان (١٨٩٨ – ١٩٤٦) إلى دار المندوب السامي البريطاني لورد كيلرن ليقدم له فروض الطاعة وواجبات الولاء عقب عودة أمين من زيارته لبريطانيا «العظمى».. وفي المساء كانت مجموعة من الوطنيين المصريين تترصده للإجهاز عليه، فأطلق عليه الشاب حسين توفيق رصاصات من مسدسه أردته قتيلًا، وكان أنور السادات (١٩١٨-١٩٨١) يجلس على مقهى قريب يراقب الموقف حسب الاتفاق وترتيب سابق..[٢]

(١) فؤاد شاكر: مرجع سابق ذكره ص ٥٤.

(٢) فؤاد شاكر: حصاد القرن العشرين – رجال صاغوا القرن – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ ص٥٦.

-وقد وجه الاتهام إلى محمد أنور السادات، وكان ترتيبه السابع في قائمة الاتهام بالقضية، وكانت مشهورة «بقضية الاغتيالات السياسية الكبرى» ، وشغلت الرأي العام Public Opinion فترة ليست بالقصيرة لأنها أثارت الشعور المصري العام ضد الإنجليز المحتلين وأشياعهم من كبار السياسيين والإقطاعيين والمستفيدين من الاحتلال وأذياله، ولذلك كان محور دفاع المحامين عن المهتمين في القضية يدور حول هذا «الشعور الوطني الجارف» ، فكانت القضية بمثابة محاكمة علنية للاحتلال البريطاني وأعوانه من السياسيين، وإدانة لأسلوبه في الاحتلال والسيطرة على مقاليد الأمور في مصر[1].

وقد حكم على أنور السادات (١٩١٨ - ١٩٨١) بالبراءة من التهمة المنسوبة إليه في ٢٤ من شهر يوليو ١٩٤٨ ، وبعد الإفراج عنه كتب في مذكراته : «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا، لقد قال القضاء كلمته ، وإذا هي تقرر أني بريء مما أرادوا أن يتهموني به، وها آنذا أكتب هذه الكلمات من اللوكاندة «الفندق» ، ومازال السجن يسيطر على فكري وحسي وخيالي، إن في رأسي زحامًا كبرج بابل، حتى أصبحت لا أستطيع الكتابة، ولا أستطيع التفكير، اللهم لك الحمد حتى ترضى..».

السادات أثناء محاكمته بقتل أمين عثمان

(١) فؤاد شاكر: مرجع سابق ذكره ص٥٦.

مرتضى المراغي

-وفي مذكراته المنشورة كتب مرتضى المراغي وزير الداخلية الأسبق في العهد الملكي يقول: «كان اسم السادات هو الذي يتردد أنه زعيم الضباط الأحرار باعتباره كان مع عزيز المصري، وقد فُصل «السادات» من الجيش واعتقل في سجن المنيا، اعتقلته حكومة الوفد «النحاس باشا» بإيعاز من الإنجليز، كل هذه الأحداث جعلت اسمه بارزًا كضابط ثائر، وما دامت هناك حركة ثوار فلابد أن يكون السادات على رأسها، وكانت أغلب تقارير البوليس إذا تناولت حركة الضباط الأحرار رددت اسم البكباشي أنور السادات، ولم يظهر اسم جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة إلا في سنة ١٩٥٢.[1]

مجلس قيادة الثورة

(١) فؤاد شاكر: مرجع سابق ذكره ص ٥٧.

-وفي فترة الثورة كان وزير الدولة في أول حكومة يرأسها عبد الناصر عام ١٩٥٤، وتولى سكرتير المؤتمر الإسلامي عام ١٩٥٥، وكان نائب لرئيس البرلمان عام ١٩٥٦ ، وترأس مؤتمر الدول غير المنحازة عام ١٩٥٧م والذي انعقد بالقاهرة، وتولى السكرتارية العامة للاتحاد القومي عام ١٩٥٧ ورئيس برلمان الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٠م، كذلك ترأس اللجنة الإعدادية للمؤتمر القومي للقوى الشعبية عام ١٩٦١ وعضوًا للجنة التنفيذية العُليا للاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٦٤م[١].

-ويقول الباحث عبد العليم محمد في كتابه «الخطاب الساداتي - تحليل الحقل الأيديولوجي للخطاب الساداتي أنه: «وعبر هذه المناصب والممارسات احتفظ السادات «بشعرة معاوية» بينه وبين ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبالذات رمزها الأول جمال عبد الناصر، فكان يرقب الصراعات التي داخل مجلس قيادة الثورة وبعدها بين المؤسسات العسكرية وبين جمال عبد الناصر، ولم يكن طرفًا فيها، وإنما اكتفى بطاعة السلطة المعترف بها قانعًا بالاحتفاظ بمناصب الدرجة الثانية حتى تحين الفرصة»[٢].

(١) د. عبد العليم محمد : الخطاب الساداتي- تحليل الحقل الأيديولوجي للخطاب الساداتي- كتاب الأهالي رقم ٢٧ أغسطس ١٩٩٠ ص ١١٠ – يصدر عن جريدة الأهالي – حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي-مصر.

(٢) عبد العليم محمد : الخطاب الساداتي ص ١١٠ – وفؤاد زكريا: كم عُمر الغضب – مكتبة مصر ص١٥ وما بعدها.

-ومن الملاحظ من تأريخ المواقف الساداتية «الحياتية» خلال مراحل تاريخه والتي تم ذكر طرف منها بإيجاز فيما سبق من أحداث إلا أنها لا تعبر مطلقًا عن جذور ونشأة التكوين والملامح الشخصية للسادات ومواقفه ومنهجه وعلاقته بتنظيم الضباط الأحرار والجدل المنبثق من رواياته ودوره الحقيقي داخل التنظيم، وعلاقات الحرس الحديدي ، وقضية مقتل «أمين عثمان» ، ومحاولاته المتكررة لاغتيال «مصطفى النحاس» زعيم الوفد، ودوره أثناء قيام الثورة وليلتها، وما أثير بشأنها، وإصراره على ذهابه للسينما وزوجته، وغيرها من القضايا الشائكة التي تجلي ما غمض من شخصية «السادات» ومواقفه.

-ولعل الأوراق التالية توضح ما استغلق من أمور وما استبهم من أحداث وما أثير من قضايا «خلافية» تحتاج إلى توضيح وإفصاح.

١- جدلية حول جذور السادات وحياته وملامح شخصيته

محاولة لفهم شخصيته من خلال النشأة وأصول التكوين

-مما لا شك فيه أنّ شخصية «السادات» تتميز بإثارة الجدل حولها، وتسمح بعديد من التأويلات العديدة والاجتهادات المتناقضة لتصرفاته وسلوكه ومنهجه.. فشخصية «السادات» بها من التشابك في التكوين والظروف ما يدفع إلى الحكم ونقيضه والوصف وعكسه فهي شخصية «بالغة» في غموضها وإخفاء ما بداخلها .

-وقد حاول بعض الباحثين الدخول في العمق النفسي للشخصية ومعرفة دوافعها وكوامن سلوكها مما أثار «جدلًا» حول ذلك، حيث إن التفسير النفسي للتاريخ وشخصياته «الحاكمة» و«المؤثرة» طريق محفوف بالمخاطر والمنزلقات ، حيث إن السلوك البشري به من التعقيدات و«التناقضات» و«التشابكات» مما يصعب تفسيره ، وما يستغلق توضيحه، فما بالك بالحكام وأصحاب «القرار السياسي» ومن لهم «شأن» في بلادهم أي شأن.

-والمثال الذي سوف نناقشه في صلب طرحنا لشخصية «السادات» هو ما أبداه محمد حسنين هيكل في كتابه المهم عن «السادات» ، والمعنون بـ«خريف الغضب» .. كما سوف نناقش بعض الآراء والدراسات الأخرى حينما يتسع المقام لذلك.

-وحقيقة الأمر إن حياة «السادات» فعلًا – كانت من «الخشونة» الجافة والغليظة أكثر مما حاول إبرازه في كتابه «البحث عن الذات»، وكانت أكثر فقرًا مما أبانه بين صفحات كتابه، وكان «السادات» سيحوز على الاحترام لو أبان الأمر على حقيقته دون تزويق أو تزوير.. فالفقر ليس عيبًا، وإنما العيب في إخفائه أو تزويقه أو إبرازه بصورة مختلفة.

عبد الرحمن البيضاني

-وقد استنكر عبد الرحمن البيضاني الزعيم اليمني المعروف أنه عير السادات بفقره، فرد على هيكل في جريدة الأهرام في ٢٤/ ٤/ ١٩٨٣ ، ويذكر القراء –أيضًا– بأن الله قد اختار أنبياءه من الفقراء، وقال لرسوله في سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ ، ثم يعلق على ذلك قائلًا: «ولم نسمع أن السادات قهر يتيمًا ولا نهر سائلًا، وكان بنعمة ربه يحدث».

-وقد حاول موسى صبري «١٩٢٥-١٩٩٢» -كاتب السادات المفضل- أن يكرر قصة عن السادات في رده على هيكل في جريدة الأخبار في ١٩/ ٤/ ١٩٨٣ تبين بأن السادات كان يصر على أن يقرأ بنفسه شكوى رجل فقير بعد أن حاول سكرتيره الخاص أنّ يعالج الموضوع دون تدخل من الرئيس، ثم قال السادات لهذا السكرتير: « أنت يا فوزي لم تعان الفقر كما عانيته»[1].

(١) د. فؤاد زكريا: كم عُمرُ الغضب – الناشر مكتبة مصر – طبعة عام ١٩٩١ ص٤٢، ٤٣.

السادات ويوسف السباعي وأنيس منصور وموسى صبري

-وقد علق فؤاد زكريا «١٩٢٧-٢٠١٠» في كتابه «كم عُمرُ الغَضب» على هذا الجدل الدائر -وقتئذ- حول فقر «السادات» قائلًا: «هذه الأمثلة تكفي للدلالة على التدهور الخلقي والفكري الذي يمكن أن يصل إليه الإعلام في ظل القمع، فكاتب العبارة الأولى على سبيل المثال لا يخجل من الحديث عن رحمة الرئيس بالفقراء، ويتوهم أن الوعي لدى الجماهير قد انعدم، حتى نسيان مجموعة المليونيرات التي أحاطت بالرئيس السابق وأصهاره، وتلك التي أعطيت لها كل الفرص لنهب أموال الشعب في ظل الانفتاح، ولا يتورع الكاتب عن الحديث عن شقة لكل عروس، في الوقت الذي تشهد به تجربة الناس اليومية، أن أسعار المساكن الخيالية وصلت إلى أرقام لم تعد تقدر عليها إلا عروس واحدة بين كل ألف عروس.. وهو لا يستحي من الحديث عن الطعام لكل فم وسط الغلاء الطاحن، ولا عن الدواء لكل مريض وسط الإهمال الكاسح لعلاج الشعب، والارتفاع الصاروخي لأسعار العلاج الخاص.. فماذا يمكن أن يقول العقل والمنطق

حين تصل الصفاقة بالإعلام إلى هذا الحد؟»[1].

-وما يهمنا الآن هو فهم جذور العائلة وأثرها على «شخصية السادات» وعمق هذا التأثير والجدل حوله.

-كان أنور السادات هو ابن «محمد محمد الساداتي»، وكانت جدته والدة أبيه هي «أم محمد الساداتية»، وقبل أن يولد ابنها الوحيد «محمد».

-ورغم أن هيكل في «خريف الغضب» قد ذكر أنه «الساداتي» وليس «السادات» ، وقدم ما يدل على ذلك من وثائق ما يؤكد رأيه، إلاّ أن التصور لدينا وبعض الباحثين أنه كان يُقصد من ذلك التفرقة بين «السادات» جمع «السادة» ، وهم في العادة من الأشراف أو من مشايخ الطرق الصوفية، وبين «الساداتي»، والتي تعني - كما يذكر هيكل - أتباع السادات.. وأن الأمر لا يعدو أن يكون الهدف منه التقليل من شأن السادات.. ولكن أكد محمود جامع «صديق السادات الحميم» كما ورد في كتابه «عَرفت السادات»، فقد أكد أن أصل الكلمة والاسم «الساداتي» قائلًا:-

«وعلى مسافة كيلومترات من كفر السادات كانت تقع قرية «ميت أبو الكوم» حيث تقيم عائلة السادات وأسرته، ولعل قرب المسافة بين القريتين وقصرها كان أدعى إلى توثيق العلاقة بيننا منذ بواكير الطفولة علاوة على قرابة جده السادات لعائلتي.. كانت هناك علاقات وصداقات ومودة بين والد أنور السادات وبين والدي وجدي وأخوالي، وكان محمد الساداتي والد أنور السادات رجلًا شهمًا طيبًا ذا أخلاق رفيعة، وكنت ألاحظ تواجده بكثرة هو وابنه أنور في دوار العمدة عندنا ، حيث كانا يقضيان السهرات والليالي الطوال...»[2].

---

(١) فؤاد زكريا: مرجع سابق ذكره ص٤٣.

(٢) محمود جامع: عرفت السادات-نصف قرن من خفايا السادات والإخوان - المكتب المصري الحديث - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م - ص١٥.

-وكان تأثير أم محمد على حفيدها «أنور السادات» هو أقوى تأثير على طفل في مراحله الأولى وبواكير سنه، ويقول أنور السادات في كتابه «البحث عن الذات» عن جدته: «العسل وصل.. يعلن المنادي في أزقة ومساحات القرية.. وتهرع جدتي وأنا أمسك بيدها وأسير إلى جوارها نحو الترعة، حيث رست مركب العسل القادمة إلى «كفر رزقان» المجاورة لنا.. ليس الطريق طويلًا.. ولكن كل خطوة تخطوها تملأ قلبي فرحًا وفخارًا.. فالرجال على طول الطريق تقف تحية لجدتي.. هذه المرأة التي لا تعرف القراءة والكتابة، ومع ذلك كنت أرى الجميع يلجؤون إليها لتحل مشاكلهم ولتشفيهم مما قد يصيبهم من أمراض بوصفات وأعشاب الطب العربي القديم التي لم يكن في قريتنا أو في القرى المجاورة من يتقنها مثلها..»[1].

-ويستطرد السادات (١٩١٨-١٩٨١) في موضع آخر من الكتاب قائلًا: «كم كنت أحب هذه السيدة.. كانت شخصية في غاية القوة، بالإضافة إلى الحكمة.. حكمة الفطرة.. والتجربة والحياة.. وطوال فترة نشأتي في القرية كانت هي رأس العائلة، فقد كان والدي يعمل مع الجيش في السودان.. وكانت هي ترعانا وتخرج وراء الأنفار كأي رجل، تتعهد الفدانين والنصف التي اقتناها والدي..»[2].

-وقد استطاعت هذه السيدة «ذات الشخصية القوية» أن تحرص رغم فقرها على تعليم ابنها محمد الساداتي، حيث أرسلته بعد «كتاب القرية» المدرسة الأولية ثم إلى المدرسة الثانوية، حيث حصل على شهادة الكفاءة في مدرسة «شبين الكوم» القريبة من «ميت أبو الكوم»، وهكذا أصبح «محمد الساداتي» واحدًا من قلة المتعلمين في القرية، والتي كانت تدير أمرها

(١) أنور السادات: البحث عن الذات – قصة حياتي – المكتب المصري الحديث – ص ١١.
(٢) أنور السادات: مرجع سابق ذكره ص١٣.

بالذهاب إلى بيوت الأحسن حالًا في القرية تبيع لهم أشياء مختلفة مثل الزبد والجبن[١].

-وقد التحق «محمد محمد الساداتي» بوحدة من القسم الطبي في الجيش البريطاني الذي كان يحتل مصر تنصب معسكرها «الصغير» بالقرب من شبين الكوم بعد حصوله على شهادة الكفاءة، وكان عمله مزيجًا من موظف وممرض ومترجم بين الأهلي في المنطقة وبين الأطباء الإنجليز.. فقد أصبح «محمد الساداتي» متعلمًا وموظفًا، وتم تلقيبه بلقب «الأفندي»، وقد حرصت «أم محمد»، والتي أنجبته بعد أربعة بنات قبله على تزوجه حتى منذ صغره وهو في سن الثالثة عشرة، حيث قامت بتزويجه من إحدى فتيات القرية، وكانت الزوجة الأولى له، وقد اختفت من تاريخه، حيث إنها لم تنجب ما يذكرها بها[٢].

-مرت سنوات على عمل «محمد محمد الساداتي» مع الوحدة الطبية في الجيش البريطاني، حيث أمرت الوحدة بالتحرك صوب السودان.. فما كان منه إلا أن التحق معها تاركًا قريته مع بعض القلائل من المصريين آملين في زيادة دخلهم، فما كان من «أم محمد» المرأة الحكيمة، والتي تحرص على ابنها إلا أن تبحث له عن عروس تتناسب مع الوضع الجديد، وكانت العروس الجديدة والتي اختارتها هذه المرة فتاة تُدعى «ست البرين»، كانت ابنة رجل اسمه «خير الله»، وكان من الذين وقعوا أسرى العبودية، وساقه أحد تجار العبيد من قرب أواسط أفريقيا إلى حيث باعه في أسواق الرقيق في ذلك الوقت بدلتا النيل - كما يذكر هيكل - وعندما أُلغي نظام الرق والعبودية في مصر بعد تزايد حالات الهجوم عى الرق واعتباره ضد الإنسانية، فإن سادة «خير الله» أعتقوه من أسر الرق والعبودية، وكانت ابنته

(١) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب - قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات - مركز الأهرام للنشر والترجمة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م ص٣٤.

(٢) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب ص٣٤.

«ست البرين» مثله تمامًا قد ورثت عنه تقاطيعه الزنجية ، ومن سوء حظه أيضًا وذلك من التعقيدات الدفينة في أعماق وجدان «السادات» أنه ورث من أمه «ست البرين» وورث مع هذه التقاطيع مشاعر غاصت في أعماقه «النفسية» إلى بعيد[1].

-وقد أثارت مشكلة اللون جدلًا كبيرًا عندما نشرت مقالات محمد حسنين هيكل ، وقبل أن تصدر في كتاب حتى من بعض السودانيين رغم أن هيكل – وكما يقول فؤاد زكريا «١٩٢٧-٢٠١٠» كان واضحًا في هذه المسألة، فأكد أن السادات كان معقدًا من لونه «بلا داع» ، وفي كل مرة كان يكرر أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى هذا التعقيد اللوني، ولكن مجرد الإشارة إلى اللون كانت كفيلة بإثارة ردود فعل غاضبة لدى كثير من الناس ، وكان أطرف ردود الفعل ما كتبه المستشار السوداني «احمد الشريف» في جريدة الأخبار في ٢٦/ ٤/ ١٩٨٣ مقال بعنوان «متى كانت الجنسية السودانية سبة؟» ، حيث احتج بشدة على ما ذكره هيكل عن عقدة اللون عند السادات ، مؤكدًا أن هذا ليس رأي الشعب المصري في الشعب السوداني الذي يحبه المصريون ويفخرون به، ذاهبًا إلى أن هذه الإساءة إلى الشعب «السوداني» تعرقل مسيرة التكامل بين البلدين «في قيادة الرئيس النميري» ، ورأى المستشار الشريف فيما قاله هيكل تفرقة عنصرية ومؤامرة مشتركة مع القذافي لعرقلة التكامل بين الشعبين، ولم ينس المستشار –كما ذكر فؤاد زكريا – أن يشير إلى أسماء عدد من الشخصيات المصريّة المشهورة التي كانت من أب سوداني أو أم سودانية كمحمد نجيب، وعبد الله النجومي، وعلي عبد اللطيف، ولم يمنعهم ذلك من دخول التاريخ.

فؤاد زكريا

(١) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب ص٣٥.

-ويرى فؤاد زكريا (١٩٢٧ - ٢٠١٠) أن هذا رد فعل مبالغ فيه، وربما كان طائشًا نتج عن فهم قاصر لإشارة هيكل إلى لون السادات، ولكن الموضوع بأكمله ما كان ينبغي أن يُثار لأن أخطاء الحكام وخاصة حين تكون فادحة أعقد من أن تفسر بمثل هذه العوامل[١].

-ونحن نتفق في هذا الجانب مع فؤاد زكريا، لأن المسألة فسرت تفسيرًا أكثر مما يحتمل، ووضعت في إطار ضخم دون قصد من قائلها، ولولا سوء النية لدى البعض، وسوء الفهم لدى البعض الآخر لما أعطى لقضية لون البشرة الخاصة بالرئيس السادات وأثرها على شخصيته وعمق هذا التأثير لما كان هناك ما يستوجب المناقشة في هذا الموضوع..!!

-عامة، وبعد رحيل «محمد محمد الساداتي» ومعه زوجته «ست البرين» قبل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ إلى السودان.. وبدأ إنجاب الأطفال من هذه السيدة، والتي رأتها «أم محمد» ملائمة لوضع ابنها في السودان، غير أن «محمد» لم يكن في مقدوره تحمل متاعب الإنجاب هُناك، فكان يرسلها قبل الإنجاب إلى قريته «ميت أبو الكوم» عند والدته، رغم إرهاق الرحلة ومشاق السفر على «ست البرين»، وقد تكررت هذه الرحلة «الشاقة» عليها أربع مرات، وأنجبت خلالها ثلاثة أبناء «طلعت» و«أنور» و«عصمت»، وابنة واحدة وهي «نفيسة»[٢].

وبعد عودة «محمد الساداتي» إلى القاهرة بعد عودة الوحدة الطبية البريطانية التي يعمل بها استقر به المقام بالقاهرة بعد أنّ عثر على شقة بالطابق الأول بكوبري القبة، وهي إحدى ضواحي القاهرة.. وكان هذا من عام ١٩٢٤، وبعد عام استدعى عائلته والمتمثلة من والدته وزوجته «ست البرين» وأولادها.. وكان قبل هذا الاستدعاء كان «السادات» يعيش

(١) د. فؤاد زكريا: كم عُمرُ الغضب - مكتبة مصر ص٤١، ٤٢.
(٢) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب ص٣٥.

في قريته «ميت أبو الكوم» سعيدًا بها وبجدته التي يعيش في كنفها، وقد وصف ذلك في كتابه البحث عن الذات قائلًا:-

«كل شيء كان يسعدني في ميت أبو الكوم قريتي الوديعة القابعة في أحضان دلتا النيل.. حتى برودة المياه في الشتاء عندما كنت أخرج في الفجر، لأن الترعة قد امتلأت بالمياه، ولكن الفترة لا تتعدى الخمسة عشر يومًا هي «النوبة» أو نصيب قريتنا من الري.. ولذلك كان الإسراع بالعمل والمشاركة فيه أمرًا ضروريًا، فنحن كل يوم في أرض واحد منا نرويها بطنبوره أو بطنبور غيره لا يهم.. المهم إنه بانتهاء النوبة تكون أرض القرية كلها قد ارتوت[1].

-وفي موضع آخر يقول السادات: «وحينما كنت ألعب مع أقراني في القرية في ليالي القمر أو نسهر على المصطبة نحن والطبيعة من حولنا والسماء فوقنا لا فاصل بيننا .. وشروق الشمس.. وعندما كنت أسير مع عشرات الصبية والفتية والرجال أصحب الدواب والبهائم في موكب خروج الفلاحين للعمل وسط خضرة لا يحدها البصر.. وبسطة الأرض التي تبدو كأن لا أرض بعدها»[2].

-بيد أنّ الحياة الهنيئة والتي وصفها السادات في قريته كانت قد تغيرت تمامًا بعد أن طرأ عليها طروء جديدة تتمثل في شقة متواضعة بها أربع حجرات، حجرة منها لوالدته ، وحجرة لزوجته الجديدة «فطوم» ، والتي رأت جدته أنها تناسب الوضع الجديد لابنها «محمد الساداتي»، وحجرة ثالثة لـ«ست البرين» ولأولادها الأربعة، وتركت الحجرة الرابعة مخصصة ، حتى تم شغرها بزوجة ثالثة وتدعى أمينة الوردي، وهي حسب التعداد الصحيح «رابعة».

(١) أنور السادات: البحث عن الذات ص١٢.

(٢) أنور السادات: مرجع سابق ذكره ص١٢.

-ويذكر محمد حسنين هيكل أن «أم السادات» قد لاقت الإهانات في هذا المكان بعد هذه الزيجات، والتي تميزت عنها بلون البشرة وصغر السن وحلاوة المظهر، بل كانت هي الخادمة الحقيقية للمنزل كله، بينما كانت «أمينة» هي التي تتولى تدبير شؤون المنزل بعد تسلمها مرتب الزوج كل شهر.

-وأضاف - هيكل - أن الأمور زادت تعقيدًا بعد تزوج طلعت «الابن الأكبر» وكذا «السادات»، وجاءا بزوجتيهما بالشقة «المكدسة»، كما أضيف إلى ذلك وجود زوج شقيقة «السادات» من زوجة أبيه «أمينة» يعيش في نفس المكان.

-وينظر هيكل للسادات في تلك الشقة وفي وجوده بالقاهرة - في تلك السنون - والتي شكلت دون أن يدري شخصية السادات، فذكر قائلًا: «أي نوع من الحياة الذي بدأ يراه «أنور السادات» من حوله؟ كانت سعادته «ميت أبو الكوم» وراءه، وكان الابن الثاني لزوجه «ست البرين» أصبحت الآن في أدنى درجة بالنسبة للحياة في بيت زوجها، ولم يكن هناك من يهتم بأمره وسط هذا الزحام، وكان مقدرًا له أن يرى بعينيه مهانة أمه يوميًا تُعاقب لأسباب لا دخل لها فيها ولذنوب لم يكن عدلًا أن تتحمل مسؤولياتها، كان يقضي معظم وقته في الغرفة التي تسكنها أمه وبقية إخوته منكمشًا على نفسه في ركن مظلم من الأركان، وكانت حقائق الحياة من حوله كئيبة.. وهكذا بدأ يتراجع على نفسه، ولم يكن أمامه مهرب مما هو فيه إلا أن يخلق لنفسه عوالم من الخيال يهرب إليها، كان تكوين شخصيته يتأثر بتناقض مخيف، فمن ناحية كان يدرك أنه ليس أمامه إلاّ الخضوع للظروف، وكانت أمه أمام عينيه تجسيدًا حيًا لهذا الخضوع، لكنه تحت هذا الخضوع يشعر بحقدٍ عميق على هذه الظروف، وكان هذا الحق يعبر عن نفسه أحيانًا بلمحات من العنف المكبوت يظهر إذا أحس أن فرصة واتته، وكان هذا

طبيعيًا في حالة التمزق بين الواقع والخيال وبين الحقيقة ومحاولة التهرب منها»[1].

-ونحن نرى أن هذه الفترة المظلمة في تاريخ السادات بما فيها من مآس ، وهي فترة الصبا والمراهقة وبدايات الشباب يمكن أن يكون لها تأثير سلبي على حياة السادات لعدة أسباب:

السبب الأول: أن هذه الفترة رغم أهميتها في حياة كل إنسان لم يتطرق إليها السادات كثيرًا في كتاباته وخاصة في كتابه «البحث عن الذات» إلا في عدة مواضع محدودة قائلًا عنها: «كنا نسكن في بيت صغير بكوبري القبة، وكان عليّ أن أكمل تعليمي الذي بدأته بمدرسة طوخ، فاختار لي والدي مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية، لأنها كانت مدرسة أهلية ومصاريفها تناسب دخله».

وفي موضع آخر يقول السادات: « كانت المدرسة في الزيتون، وكنت أذهب إليها وأعود كل يوم سيرًا على الأقدام، وفي الطريق كنت أمر بسراي القبة.. أحد قصور الملك فؤاد في ذلك الوقت..».

ويذكر «السادات» أيضًا : «وفي المدرسة الثانوية تفتحت عيناي لأول مرة على أهل المدينة، وعرفت معنى الطبقة والفوارق.. ففي المدرسة كان معي ابن وزير الحربية وابن وكيل وزارة المعارف.. وكان كل منهما ينتقل إلى المدرسة ويعود منها إلى البيت في سيارة فاخرة «كونبيل» كما كنا نسميها في القرية.. منظر مبهر للغاية، ولكنه لم يترك في نفسي أي أثر للغيرة أو الحقد، وطبعًا زملائي في الفصل كانت ملابسهم أفضل من ملابسي بكثير، ولكن هذا لم يصبني بأي عقدة»[2].

(١) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب – قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات – مركز الأهرام للترجمة والنشر – الطبعة الأولى ١٩٨٨ ص ٣٩.

(٢) أنور السادات: البحث عن الذات ص١٨.

وفي كتابه يوضح السادات التفرقة بين مرحلة القرية ومرحلة المدينة قائلًا: «وهكذا كانت مجموعة القيم التي نشأت عليها في القرية ولم أجد مثلها في المدينة سندًا لي في تلك المرحلة المبكرة من حياتي فقد عمقت إحساسي بالقناعة الداخلية الداخلي الذي لم يفارقني لحظة منذ أن نشأت ، والذي هو في الحقيقة – كما أدركت بمرور الأيام – قوة داخلية لا تستند على أي مصدر مادي».

وفي موضع هام من كتابه يقول:

«وفي مرحلة التعليم الثانوي كنت أعيش تحت خط الفقر،فقد كان والدي بدخله المحدود يعول أسرة مكونة من ثلاثة عشر ولدًا وبنتًا.. ولذلك فرغم أننا كنا نعيش في القاهرة كان بمنزلنا فرن نخبز به العيش.. إذ أن شراء الخبز من السوق كما يفعل أهل المدينة.. كان أمرًا لا طاقة لنا به»[1].

وفي الموضع الأخير لحديثه في هذا الشأن يقول السادات:

«وكان مصروف يدي مليمين في اليوم، وبهذا المبلغ الضئيل كنت أشتري كوبًا من اللبن والشاي وأشربه وأنا أحس إني أسعد إنسان في العالم.. في حين كنت أرى زملائي من حولي يشترون أفخر أنواع الشيكولاته والحلوى من «كانتين» المدرسة.. وكان لدى الواحد منهم أكثر من حلة فاخرة يختار من بينها ما يروق، فهو دائمًا أنيق متجدد..»[2].

– وهذه الفترة رغم أهميتها في حياة «السادات» لم يتطرق لها بشكل مباشر وخاصة حياته داخل أسرته وما كان يحدث داخلها من شواغل وطموحات وصراعات كما فعل في قريته «ميت أبو الكوم» أيام طفولته الأولى ، والتي ما فتئ يذكرها في كل أركان الكتاب ويعود إليها باستمرار..

(١) أنور السادات : البحث عن الذات ص١٩.

(٢) أنور السادات: مرجع سابق ذكره ص٢٠.

وهذا الذي دفع هيكل إلى القول عن السادات أنه:

من الملفت للنظر أن «أنور السادات» عندما أصبح رئيسًا وبدأ يمارس عادة رواية قصة حياته كل سنة في عيد ميلاده لم يتعرض يومًا لهذه الفترة من حياته مع أنها فترة التكوين ، لأنها شهدت الصبا والمراهقة وبداية الشباب، كانت الصورة التي يريد العالم أن يراه فيها هي صورة طفل القرية الذي أصبح ضابطًا، ثم ثائرًا ، أما الصورة الأخرى التي أسهمت أكثر من غيرها في تكوين شخصيته فقد كان يهرب منها ويمضي في محاولة الهرب، ولم يكن هربه من التجربة القاسية نفسها، بل بدأ يهرب من نفسه أيضًا.

السبب الثاني: أنه من المتعذر فعلًا فهم سلوك الفرد ونمو شخصيته – كما يذكر سيد محمد غنيم في كتابه الشخصية – دون أن ندخل في الاعتبار البيئة التي نشأ فيها سواء كانت هذه البيئة طبيعية أو ثقافية أو اجتماعية رغم أن التكوين البيولوجي للفرد يحدد إلى درجة كبيرة شخصية الفرد وتجعلنا على يقين – كما يقول غنيم – من القول بوجود فروق واضحة ملحوظة في النواحي العقلية والجسمية والمزاجية وتؤثر بدورها في نمو شخصية الفرد[1]، ومن ثمّ نجد أن البيئة وعلى وجه التحديد «الاجتماعية» والتي لها دور في تنمية شخصية الفرد كانت لها دور في شخصية السادات بالتأكيد.. والتفسير الأقرب بأن ما حدث للسادات في هذه الفترة السلبية من حياته بالقاهرة لم يشأ أن يذكرها، وإنما سكنت في أعماق نفسه، ولكنه حاول القفز عليها دون ذكر تفاصيلها الممضة والمؤلمة.

السبب الثالث: أن السادات نفسه ساهم أيضًا – دون أن يدرك – ولأسباب لا شعورية في تزكية الرأي القائل بأن حياته كانت شاقة جدًا وصعبة بالقاهرة إلى درجة أن اعتبرها البعض أنها وصلت إلى درجة «العقدة» من أبيه نتيجة معاملة الأخير لأمه بقسوة بالغة، كما أدت هذه العقدة إلى الهرب من حياته الواقعية ويعيش في وهم من خياله لأنه – وكما

(١) د. سيد محمد غنيم: الشخصية – دار المعارف ١٩٨٣ – العدد ١٦٠ ص٢٨.

يذكر هيكل – كان يخاف من والده، ولم يستطع أن يقنع نفسه إلى آخر يوم بأن يحبه، وكان غاضبًا على أمه، فلم يكن في أعماقه قادرًا على احترام عذاب هذه السيدة التعيسة الحظ، وقد زادت مقاومته – بدون داع حقيقي – للون الذي ورثته.. كان تواقًا إلى الناس وفهمهم، وكان مستعدًا لأي شيء، وفي سبيل الحصول على قبولهم ورضاهم، وكان على ذلك – على نحو أو آخر – أكثر جوانب شخصيته جاذبية.. لكن مجمل ذلك كله جعله في النهاية على استعداد لأي يعطي ولاءه لأي شخص أقوى منه تضعه الظروف أمامه.. وقد تعلم على كل حال كيف يتحمل صدمات.. وأحيانًا إهانات لا لزوم لها.. ولما كان هناك رد فعل لكل فعل، فقد تولد في أعماق أعماقه إحساس بالحاجة إلى الانتقام مما كان يعانيه، وهذا هو رد ما ولدّ لديه نزعة العنف المكبوت الجاهز للانفجار دومًا إذا أحس أن عواقبه مأمونة[1].

السبب الرابع: رغم أن تحليل الشخصية والتفسير النفسي للتاريخ وأحداثه ومحركيه له مختصوه وله عواقبه ومنزلقاته – أيضًا – وخاصة بالنسبة للشخصيات الحاكمة ذات الأثر التاريخي لأنه من الصعب بل يكون من الشاق أن ننسب القرارات التاريخية الهامة والصعبة إلى عامل من العوامل النفسية ، أو يمكن التفتيش داخل مصدرها إلى عقدة نفسية وشخصية كانت الدافع الوحيد لذلك.. ولكن لا يمكن – أيضًا – تجاهل الحياة الأولى وصعوبتها وشدتها على أية شخصية، فما بالك إذا تولت هذه الشخصية حكم دولة عريقة مثل مصر؟

-غير أنّ ما ذكره – هيكل في كتابه «خريف الغضب» – فيه من الأمور ما يمكن أن نعتبرها استنتاجًا ، لأنه من الصعب توثيقها ، ومن الصعب أيضًا التحليل والبحث في عقد «السادات» وظروفه الأسرية الممضة.. ومن الأمور ما يمكن اعتبارها استنتاجًا من هيكل «إهانة أبيه لأمه ست البرين» وكراهية السادات لأبيه وخشيته منه وعقدته من أبيه والهروب الوهمي له في حياة من خياله.

(١) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب ص٤١، ٤٢.

-وهناك أيضًا من المفكرين والباحثين والكتاب ما استبعد أن يعتمد بشكل كامل على طرح التفسير النفسي للتاريخ وشخصياته، حيث أنّ الأمر فيه صعوبة وجوانب متعددة، ومن هؤلاء المفكرين جلال أمين في دراسته «شخصيات لها تاريخ» والتي منها دراسته عن «شخصية السادات».

-ولكن من المؤكد أنه لا يصح أن نتجاهل «كلية» أثر الخصائص النفسية والنزعات الشخصية للحاكم على ما يجرى من أحدث، فمن المؤكد -كما يذكر جلال أمين - أن الخصائص «النفسية» يمكن أن تؤثر على مجرى الأحداث في المدى القصير وأن تكون عاملًا مساعدًا ولو فترة من الوقت للتطور الذي تفرضه الظروف، الاجتماعية والضغوط الخارجية[1].

-ويذكر أمين : «والذي يتأمل عصر السادات لا يمكن أن يتجاهل الخصائص النفسية للحاكم قد كان لها بالفعل الذي قد يندر مثيلًا له في تاريخ مصر الحديث، صحيح أن تاريخ مصر قد تأثر بقوة شكيمة محمد علي ورخاوة سعيد وجبن توفيق وعناد عبد الناصر.. ولكن قد يميل المرء إلى أن يرى شخصية أنور السادات نموذجًا يفوق كل هذه النماذج في مدى ممارسته من أثر على السياسة الداخلية والخارجية لمصر في السبعينيات»[2].

-ويدلل أمين على حقيقة الجانب النفسي - لدى أنور السادات- وتأثيره على ما يجرى من أحداث فيما جرى على لسانه من ترديد كلمة «الحقد» ، فهو دائم على استخدامها في وصف المعارضة السياسية، ويتصور أن الخلاف بينهم وبينه لا يزيد على شعور بالبغضاء الناتج من الغيرة والحسد واعتقد السادات بصدق أنه في هذا كله كان يعبر بصدق عن حقيقة مشاعره.

(١) د. جلال أمين : شخصيات لها تاريخ - دار الشروق طبعة خاصة لمكتبة الأسرة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ ص٩٣.
(٢) د. جلال أمين: شخصيات لها تاريخ ص٩٣.

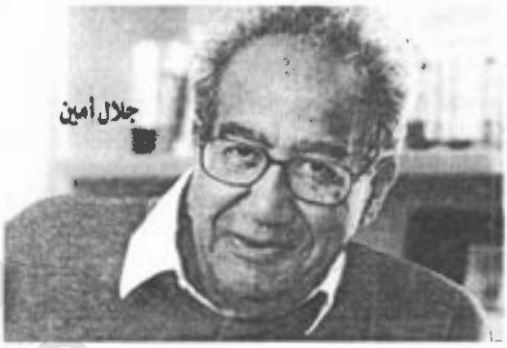

-ويذكر «جلال أمين» في كتابه «شخصيات لها تاريخ» مؤكدًا على وجهة نظره قائلًا في هذا الشأن:

«على أننا نلاحظ في الوقت نفسه مدى حرص أنور السادات على نفي صفة الحقد عن نفسه، اقرأ مثلًا الصفحات التي كتبها في كتاب «البحث عن الذات» عن شعوره نحو زملائه الأثرياء في المدرسة: «ففي المدرسة الثانوية تفتحت عيناي لأول مرة على أهل المدينة، وعرفت معنى الطبقة والفوارق، ففي المدرسة كان معي ابن وزير الحربية وابن وكيل وزارة المعارف، وكان كل منهما ينتقل إلى المدرسة ويعود منها إلى البيت في سيارة «كونبيل» كما كنا نسميها في القرية، كان منظرًا مبهرًا للغاية ، ولكنه لم يترك في نفسي أي أثر للغيرة أو الحقد».

-فمنظر السيارة الفاخرة كان منظرًا «مبهرًا للغاية»، ولكنه مع ذلك لم يترك في نفسه أي أثر للغيرة أو الحقد.

-ويستطرد أمين للتدليل على رؤيته فيقول: ومع ذلك -يقصد السادات- فهو يذكر بعد صفحتين فقط أنه: «عندما تقدمت للحصول على إتمام المدرسة الثانوية كان علينا أن نرفق بالاستمارة صورة شخصية، وكان لهذه الصورة أهمية في نظر أي طالب؟! فشهادة التوجيهية هي بطبيعة الحال نقطة تحول في حياته، ولذلك ذهبت إلى والدي ، وطلبت منه حلة جديدة أتصور بها هذه الصورة التاريخية.. وأدرك والدي أهمية مطلبي ، ولكنه قال: أمهلني يومًا أو يومين لأدبر المبلغ ».

وفي الموضع نفسه يقول السادات أيضًا: «كان مصروف يدي مليمين في اليوم كنت أشتري كوبًا من الشاي باللبن وأشربه وأنا أحس إني أسعد إنسان في العالم (؟) في حين كنت أرى زملائي من حولي يشترون أفخر أنواع الشيكولاته والحلوى من كانتين المدرسة».. فهو حريص – كما يقول أمين – على تأكيد أنّ ضآلة مصروفه بالمقارنة بزملائه لم تمنعه من أن يكون «أسعد إنسان في العالم»، وهو أمر غريب من طفل لفت نظره بهذه القوة الفارق بينه وبين زملائه.

-ولا يمكن أحد أن يقرأ هذه العبارات دون أن يتذكر كيف أصبح أنور السادات وهو رئيس الجمهورية حريصًا كل الحرص على «الأناقة وتغيير الثياب»، وكيف كان يعتبر من أمجاد عهده دخول مختلف السلع الكمالية إلى مصر حتى غزت الأسواق «أفخر أنواع الشيكولاته والحلوى» ،

ولكنه ينفي في كتابه نفيًا قاطعًا أي شعور بالغيرة والحسد، ويستخدم في ذلك لفظ «إطلاقًا»[1].

-ويستطرد -أمين- في رأيه قائلًا: «في تكرار وصفه للمعارضة «بالحقد» أكثر من مجرد تعبيره عن تصوره الخاص لدوافع المعارضة ففيه محاولة لا شعورية معقدة وملتوية لنفي هذه الصفة عن نفسه، كما أرى لتمجيده المستمر «لأخلاق القرية» سببًا معقدًا بدوره، فشعور أنور السادات الحقيقي نحو القرية شعور سلبي تمامًا بعكس ما توحي به كلماته، حقًا إنه كثير ما يرتدي زيًا شبيهًا بالزي القروي دائب الذهاب والعودة من وإلى «ميت أبو الكوم»، ويطلق اسمها على أول قرية يبنيها في سيناء، وما أكثر إشاراته إلى العادات القروية المقرونة بالثناء! ولكن فلنلاحظ مع ذلك عدة أمور منها: أن «الزي القروي» الذي كان يرتديه كان أبعد ما يكون من البساطة والخشونة، والذين زاروه في منزله في قريته يخبروننا عن التغيير الكامل الذي حدث في أثاثه، ومنها أيضًا إعجابه بمظاهر المدينة الحديثة التي لم يكن يقف عند حد من واقع تصرفاته وأحاديثه نفسها ومنها حرصه على بعض السلوكيات البسيطة في ذاتها ولكنها تعكس إعجابًا شديدًا بالنقيض التام لبساطة القرية وعاداتها كتدخينه للبيبه، وكثرة ظهورها في صوره، وكثرة ظهوره بالنظارة الشمسية، فضلًا عن حرصه الشديد على مراعاة آخر الموضات في الزي حينما لا يكون في قريته، وعلى استخدامه للغة الأجنبية بالرغم من أنه قد يكون استخدام اللغة العربية أليق وأنسب، وحرصه على تأكيد إجادته للغات، وولعه بالتليفزيون والأفلام الأجنبية.. إلخ[2].

(١) جلال أمين: مرجع سابق ذكره ص٩٥.

(٢) جلال أمين: شخصيات لها تاريخ - دار الشروق - طبعة خاصة لمكتبة الأسرة عام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ ص٩٥.

-ومن ثمّ.. يتضح أنه لم تكن إشادة أنور السادات «١٩١٨ - ١٩٨١» المستمرة بالقرية -كما يذكر أمين - نتيجة تقدير حقيقي لها أو بسبب احترامه الشديد للتراث أو القيم الشعبية، وإنما كانت في الواقع تأكيدًا لانتصاره الشخصي في كفاح حياته، وكأنه يقول: «هأنذا انتصرت في النهاية على من أذلوني في صباي»، كما كانت في الوقت نفسه محاولة مستمرة لنفي غيرته أو حقده على من يتمتعون بالحياة العصرية ونشؤوا غير نشأته»[١].

-وقد حاول الفريق سعد الدين الشاذلي «١٩٢٢-٢٠١١» أن يبين في كتابه «مذكرات حرب أكتوبر» إلى أي مدى كان صفات عدم الوفاء والحقد كانتا سمتين في علاقته بالسادات قائلاً: «ولكي يثير السادات الشكوك حول مسؤولية الثغرة، فإن اسمي لم يذكر بين أسماء القادة الذي جرى تكريمهم في مجلس الشعب، وسلمت إليهم «الأنواط والأوسمة»، ولكن بينما السادات، وأقول السادات وليس مصر

تعمد إسقاط دوري في حرب أكتوبر، فإن العرب بصفة عامة وسوريا بصفة خاصة أخذوا يشيدون بالنصر الذي قمت به في هذه الحرب.. ففي الحفل الكبير الذي أقامته سوريا لتكريم حرب أكتوبر، لم ينس السوريون دور الفريق سعد الدين الشاذلي، وأنعموا علي بأعلى وسام عسكري سوري.. لقد كان التصرف السوري صفعة شديدة للسادات، لقد أراد الأخوة السوريون أن يوضحوا للعالم العربي والمصري أن السادات يتكلم عن الوفاء، ولكنه ليس وفيًا لأحد، وأنه يدعو الناس لئلا يحقدوا على أحد، وهو الحقود الذي يجري الحقد في دمائه..»[٢].

---

(١) جلال أمين: مرجع سابق ذكره ص٩٦.

(٢) الفريق سعد الدين الشاذلي: مذكرات حرب أكتوبر - دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية - سان فرانسيسكو ٢٠٠٣ ص ٣٥٢. =

السادات والفريق سعد الدين الشاذلي

-ويمكن لنا أن نقول ونحن بصدد مناقشة الآراء التي تنظر إلى الجانب النفسي لشخصية السادات وتركز عليه «كثيرًا» كما قام بعض الأطباء النفسيين – من قبل – بتحليل شخصية عبد الناصر واتهامهم لشخصيته بأنها «سادية» ، ويعاني من بانورايا «جنون العظمة» وغيرها من الصفات، إلا أننا اعتبرنا – كما ذكر أحمد عكاشة –«أن هذا لون من ألوان الافتراضية والإسقاط الذاتي والإدراك الخاص لكل منهم، وإذا كان التاريخ يعتمد على حد كبير على إدراك المؤرخ، فما بالنا بتحليل شخصية زعيم» ، والطب النفسي كما يقول – عكاشة – «يستطيع أن يعطي إطارًا هامشيًا لنفسية الفرد، ولكنه لا يستطيع قط أن يتبين بدقة الأسرار النفسية للشخص إلاّ إذا فحصه.. ومن هنا كان لنا أن نعتبر أنّ كل ما قيل في هذا الصدد هي آراء مواطنين لهم خبرة نفسية في السلوك الإنساني مُجردة من الحقائق الطبيعة العلمية الثابتة»[1].

= وقد عرضت زوجة الشاذلي بعد وفاته وتنحي مبارك عن الحكم أن مبارك كان الأسوأ في تعامله مع الشاذلي لإصراره على سجن الشاذلي بعد عودته، وسحب نجمة سيناء منه، وإصراره على أن يقضي مدة سجنه كاملة، فقد كان مبارك ينتظر اعتذار الشاذلي، والذي رفضه بشدة.

(١) د. أحمد عكاشة: ثقوب في الضمير – الهيئة المصرية العامة للكتاب ص١٤٠، وللمؤلف: شخصية عبد الناصر وحياته – جزيرة الورد ص١٤٠.

فذلكة أخيرة:

-نستطيع أن نقول بالإضافة إلى ما سبق أن تفسير القرارات المهمة وذات التأثير الهام في حياة الأمم يتوقف على الجوانب النفسية للحكام وأصحاب القرار السياسي دون النظر إلى الجوانب الأخرى يكون ذلك تعنت في التفسير واختزال في الرؤية،ونظرة أحادية للأمور والقرارات المهمة في حياة الشعوب!!

-فمن المعروف أن هناك جوانب ذاتية لأصحاب القرارات الهامة تتمثل في تنشئته الاجتماعية والثقافية التي شكلت نمط وسمات الشخصية وقيمه ومعاييره ومعتقداته وآراءه وأفكاره واتجاهاته أو استعداداته النفسية وأهدافه العامة والخاصة.. كما أن هناك جوانب موضوعية «خارجة عن نطاق الذات» تتمثل في طبيعة المشكلة أو الأزمة موضوع القرار ، وفي أجهزة ومؤسسات الدولة ونوع النظام السياسي «القائم» ووفرة المعلومات والحقائق وقنوات الاتصال ودور الصفوة أو النخبة Elite المحيطة به، وكذلك تأثيرات نظم الحكم الدولية وسياساتها الخارجية وتأثيرات ذلك على مصدر القرار[1].

(١) د. صلاح السيّد بيومي: صنع القرار السياسي – عصر مبارك نموذجًا – الهيئة العامة لقصور الثقافة – يناير ٢٠٠٥ ص٤٥، ٤٦.

٢-السادات .. وتنظيم الثورة وعلاقته بعبد الناصر

«نقد موضوعي لدور السادات ورواياته»

أ-السادات وعلاقته بتنظيم الضباط الأحرار «الحقيقة والادعاء»

-دأب السادات منذ عام ١٩٧٨م على ذكر أنه أسس تنظيم الضباط الأحرار، واستطاع أن يضم إليه عددًا من ضباط الطيران من بينهم عبد اللطيف البغدادي «١٩١٧ - ١٩٩٩»، وخالد محيى الدين وحسن إبراهيم، وضم إليه عبد الناصر «١٩١٨-١٩٧٠»، وعندما عاد من السودان ١٩٤٣ تولى عبد الناصر رئاسة التنظيم نظرًا لإبعاد السادات عن القوات المسلحة، وكان قد اتهم بالتجسس لحساب الألمان[١].

-وقد ذكر السادات في كتابه «البحث عن الذات» بشكل تفصيلي عن واقعة تنظيم الضباط الأحرار قائلًا:-

«وهكذا قام أول تنظيم سري من الضباط، وكان ذلك في سنة ١٩٣٩.. كان ضمن أعضائه عبد المنعم عبد الرؤوف، وكان يعتبر الرجل الثاني بعدي.. وعبد اللطيف بغدادي وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وأحمد سعودي حسين، الله يرحمه.. وحسن عزت والمشير أحمد إسماعيل.. الذي كان يحضر اجتماعاتنا دون مشاركة سياسية، فقد كان يرحمه الله رجل عسكرية كرس حياته لعمله وتخصصه.. لم ألجأ إلى الخلايا السرية للدفع بهذه الثورة المسلحة لبلوغ أهدافها كما فعل عبد الناصر بعد عودته من السودان في ديسمبر ١٩٤٢ وتسلمه التنظيم في أوائل سنة ١٩٤٣ بعد

(١) عبد الله إمام: الطريق إلى كرسي الرئاسة: انقلاب السادات - أحداث مايو ١٩٧١ - دار الخيال - الطبعة الأولى - مارس ٢٠٠٠ ص٨.

اعتقالي في صيف ١٩٤٢، في تلك السنة كان خط هتلر قد بدأ في الانكسار، وبالتالي استعاد الإنجليز قوتهم في مصر، فكان على عبد الناصر أن يخطط للمستقبل.. أما أنا فلماذا أخطط ثورة على مدى زمني بعيد؟ كانت الأحداث وما أعقبها من ردود أفعال – أي انتصارات هتلر المتلاحقة وهزائم الإنجليز – كنتيجة حتمية لهذه الانتصارات قد جعلت الباب أمامي مفتوحًا للعمل المباشر.. ففيم الإعداد للمستقبل والفرص متاحة أمامنا وواجبنا أن ننتهزها قبل أن تفوت في هذا الاتجاه وسرت وأسرعت الخطا.. فإلى جانب اتصالاتي الواسعة بالضباط وتشكيل الهيكل التنظيمي للثورة بدأت أتصل بالجنود في وحدتي بالمعادي، وألقي عليهم محاضرات عن المعركة والموقف العسكري في العالم وموقفنا من الإنجليز والأوضاع في مصر..»[١].

–وهذا الذي ذكره السادات (١٩١٨ – ١٩٨١م) يعتبر مغايرًا للحقيقة لعدة أسباب نذكرها في الآتي:–

السبب الأول: أن السادات عام ١٩٧٨ تناقض مع السادات أيام الثورة وفي عهد عبد الناصر، حيث ذكر في كتابه «صفحات مجهولة من تاريخ الثورة المصرية «الذي صدر عام ١٩٥٧» : «بعد حرب فلسطين بدأنا في تكوين النواة الأولى لهذا التنظيم فرغ جمال من وضع أساس التنظيم كله واختار للتشكيل اسم الضباط الأحرار ووضع أهداف التشكيل، وتم توزيعها»[٢].

–وفي كتاب السادات «أسرار الثورة المصرية بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية» ذكر فيه : «واختار جمال للتشكيل اسم الضباط الأحرار.. الأحرار وفي كفاحهم في سبيل الحياة والأحرار في سعيهم إلى تحرير وطنهم

(١) أنور السادات : البحث عن الذات – قصة حياتي – المكتب المصري الحديث ص٣٤، ٣٥.

(٢) عبد الله إمام : الطريق إلى كرسي الرئاسة – انقلاب السادات – أحداث مايو – دار الخيال – مارس ٢٠٠٠ – الطبعة الأولى – ص٩.

من الاستعمار والاستغلال والفساد وكذلك الأحرار من الانتماء إلى أية هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف»[١].

السبب الثاني: أي رفاق السلاح ومن كانوا في حركة الضباط الأحرار ناقضوا هذا الادعاء الذي ذكره السادات (١٩١٨-١٩٨١) في كتاباته، وفي رواياته عبر شاشات التليفزيون، فقد ذكر عبد اللطيف بغدادي (١٩١٧ – ١٩٩٩): «أن التنظيم الذي تكون في سلاح الطيران كان مختلفًا عن الضباط الأحرار، وكان يضم فقط ضباط الطيران، وأن حسن عزت قد جاء إليه يرجوه قبول السادات عضوًا به في آخر أيام التنظيم.. وهذا التنظيم شيء مختلف عن تنظيم الضباط الأحرار الذي كونه جمال عبد الناصر فيما بعد»[٢].

-وذكر خالد محيى الدين في هذا الصدد قائلًا: «أريد أن أفرق بين تنظيم الضباط الأحرار وأية تنظيمات أخرى في القوات المسلحة قبله..»، كما نفى أن يكون في أي تنظيم رأسه السادات.

خالد محيى الدين

ويقول محيى الدين في كتابه «مستقبل الديمقراطية في مصر» مؤكدًا على قيادة عبد الناصر لتنظيم الضباط الأحرار»: «فقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التي غيرت معالم الحياة في مصر تغييرًا عميقًا وبعيد الأثر، وقد انطلقت الثورة من داخل القوات المسلحة بقيادة «حركة الضباط الأحرار» وجمال عبد الناصر كرد فعل للأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الشاملة التي بلغت ذروتها بحريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢»[٣].

(١) محمد أنور السادات: أسرار الثورة المصرية – بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية- كنوز للنشر والتوزيع ٢٠١٠ – ص٢٠٧.

(٢) عبد الله إمام: مرجع سابق ذكره ص٨.

(٣) خالد محى الدين: مستقبل الديمقراطية في مصر – كتاب الأهالي – يصدر عن جريدة الأهالي – حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدودي – العدد الأول – مارس ١٩٨٤ – ص٢٠، ٢١.

-ويقول جمال حماد عضو حركة الضباط الأحرار : «لم يتم تكوين تنظيم سري في الجيش يطلق عليه هذا الاسم داخل الجيش المصري إلا تنظيم الضباط الأحرار الذي أنشأه جمال عبد الناصر في سبتمبر ١٩٤٩ عقب عودة الجيش المصري من حرب فلسطين، وهي حقيقة اعترف بها السادات في نهاية كتاب «أسرار الثورة المصرية» ، كما اعترف بها جميع الضباط الأحرار في كتبهم ومذكراتهم التي نشرت أو في أقوالهم التي أدلو بها أمام لجنة تسجيل تاريخ ثورة يوليو، وإن ما ذكره السادات من إنشائه أول تنظيم سري للضباط عام ١٩٣٩ ويقصد به تنظيم الضباط الأحرار – قول لم نستطع إثباته – فضلًا على عدم إمكان الاهتداء إلى أشخاص اعترفوا بانضمامهم لهذا التنظيم كان السادات نفسه قد سبق واعترف أن عبد الناصر هو الذي شكل تنظيم الضباط الأحرار»[١].

-وغني عن البيان أن أعضاء اللجنة التأسيسية للتنظيم قد اعترضوا على انضمام السادات عضوًا في تنظيم الضباط الأحرار في أواخر عام ١٩٥١ باستثناء جمال عبد الناصر، حيث إنهم كانوا يعرفون السجل الخاص بالسادات ابتداء من مغامراته في خدمة المخابرات العسكرية الألمانية إلى مشاركته في «الحرس الحديدي» ، والدور الذي قام به في اغتيال أمين عثمان (١٨٩٨ -١٩٤٦) ، ومحاولات اغتيال مصطفى النحاس (١٨٧٩ – ١٩٦٥) ، كما أنهم قد سمعوا أيضًا – كما يذكر هيكل – رواية تقبيل السادات ليد الملك فاروق في جامع الحسين ، وكان جمال عبد الناصر يعرف يقينًا كل هذه الوقائع ، وتختلف الآراء ، وتتعدد الاتجاهات حول السبب الذي من أجله قام «عبد الناصر» بضم «السادات» إلى تنظيم «الضباط الأحرار» رغم معارضة الآخرين بدون استثناء[٢].

(١) عبد الله إمام : الطريق إلى كرسي الرئاسة : انقلاب السادات – أحداث مايو ١٩٧١ – دار الخيال – الطبعة الأولى – مارس ٢٠٠٠ ص ٩.

(٢) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب ص٧٢.

- **السبب الثالث:** اتفاق المؤرخين والكتاب والباحثين ومختصي السير الذاتية وعلماء الاجتماع السياسي بأن عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) قد بذل جهود كبيرة في ميدان التنظيم والتوجيه من أجل تهيئة أداة التغيير الثوري المطلوب، وأن اعتماد الجيش كقوة فاعلة للتغيير الثوري المستند على دعم الشعب وتأييده كانت هي الفكرة التي هيمنت كأثر من آثار الحرب الفلسطينية والهزيمة وتضاعيفها - كما تذكر الباحثة بثينة التكريتي - على ذهن قائد تنظيم الضباط الأحرار جمال عبد الناصر، وقد لقيت هذه الفكرة أوسع القبول لدى رفاقه في تنظيم الضباط الأحرار[١].

-وتذكر بثينة التكريتي أيضًا «أن الاتفاق بين المؤرخين حول تنظيم الضباط الأحرار بهذا المعنى لم يكن هو التنظيم الوحيد ولا الأخير ولكن تنظيم الضباط في مصر وبشكله المعروف كان فكرة ناصرية لحمًا ودمًا[٢].

مجموعة من الضباط الأحرار

← جمال عبد الناصر
← أنور السادات
← اللواء محمد نجيب

(١) بثينة عبد الرحمن التكريتي: جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - مارس ٢٠٠٠ ص١٤٠.

(٢) بثينة عبد الرحمن التكريتي: مرجع سابق ذكره ص١٤٠.

(ب) السادات وعبد الناصر «روايات متناقضة وتشويه متعمد»:

-وقد تعرضت علاقة عبد الناصر بالسادات لعديد من التشوهات والادعاءات، وقد ساهم في ذلك السادات نفسه وتناقضاته في رواياته وكتاباته -- كما حدث من قبل في علاقة السادات بتنظيم الضباط الأحرار وما سردناه من موضوعات تعمل على تناقضات السادات - وهذه من المآخذ والتي أخذت على السادات واتهامه بقدرته على إخفاء نقده للآخرين وإظهاره في وقت لا يحاسب عليه!!.

-فكما زعم السادات (١٩١٨-١٩٨٠) أنه مؤسس تنظيم الضباط الأحرار وأن هو الذي ضم عبد الناصر إليه وتركه يدير التنظيم إبان سجنه!! حاول -أيضًا - التقليل من شخصية عبد الناصر رغم أنه عقب ترشحه من قبل مجلس الأمة في ٧ من أكتوبر (تشرين) ١٩٧٠ ألقى السادات خطابًا أمام المجلس استلهمه السادات بالتأكيد على السير على الطريق الناصري بقوله: «لقد جئت إليكم على طريق جمال عبد الناصر وأعتبر أن ترشيحكم لي بتولي رئاسة الجمهورية هو توجيه بالسير على طريق جمال عبد الناصر، وإذا أبدت الجماهير شعبنا رأيها في الاستفتاء العام بنعم، فإنني أعتبر ذلك أمرًا بالسير على طريق جمال عبد الناصر الذي أعلن أمامكم بشرف أنني سأواصل السير فيه على أية حال ومن أي موقع، إنني جئت إلى هذا المجلس بوثيقة واحدة هي بيان ٣٠ من مارس أودعها إياه وأمشي قائلًا لكم: هذا برنامجه وهذا برنامجي أيضًا لأنه إرادة الشعب»[(١)].

-وفي نفس الخطاب يؤكد السادات نفس المعنى ويصر عليه: «ولقد وضعت لتفكيري كله قاعدة واحدة أنّ أبدأ كل تصرف بسؤال محدد هو ماذا كان يطلب منا لو أنه كان ما يزال بيننا وكنت على ضوء معرفتي به ورفقة ثلاثين عامًا وزمالة نضال وراء معركة بعد معركة وفهم صديق كنت أقدر الخطى والمواقع باحثًا على هذا النحو ومثلها».

(١) نجلاء أبو عز الدين: ناصر العرب - ترجمة فريد أبو عز الدين - دار المستقبل العربي - مصر - الطبعة الأولى ١٩٨٨ ص ٣٧٠ والخطاب الساداتي للدكتور عبد العليم محمد ص ١١٤.

-وبعد إعلان نتائج الاستفتاء يؤكد السادات على ضرورة الاستمرار على نهج الرئيس الراحل في خطابه إلى الأمة في ١٨ أكتوبر ١٩٧٠، حيث يقول: «لقد تلقيت أمركم، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون أدائي للمهمة التي كلفتموني بها على نحو يرضاه شعبنا وترضاه أمتنا، ويرضاه المثل الأعلى الذي وضعه القائد الخالد وأعطاه كل شيء من الحياة إلى الموت»[1].

-فقد كان رأي السادات (١٩١٨-١٩٨١) في كتبه أثناء حياة عبد الناصر كان جيدًا ومشيدًا بصفات حميدة وأخلاق طيبة يتفرد بها ناصر، فقد ورد في كتابه «أسرار الثورة المصرية بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية» على لسان السادات قوله: «ولا ندري لماذا كان يتوسطنا دائمًا شاب رقيق وديع عامر النفس بالصفا، لم يكبرنا سنًا ولا رتبة.. فقد كنا جميعًا أبناء «دفعة»! ولكنه كان الملتقى الذي جمع صداقتنا جميعًا.. كما نمرح، فنضحك عاليًا، ونسخر من كل شيء، ولا ترحم ألسنتنا أحدًا.. وأحيانًا يفكر.. يفكر بقلبه ويفكر بوعيه.. ولا نكاد ننطلق في المرح حتى نجد موضوعًا هادئًا.. يثيره بيننا جمال عبد الناصر، وربما كان موضوعًا شخصيًا، وربما كان موضوعًا عامًا.. وربما كان ذكريات عابرة تمر به من حياته، فلا يلبث أن يستنبط منها فكرة أو رأيًا يثير بيننا مناقشة طويلة.. هادئة، وكان جمال يطوي نفسه على كثير من الآلام الشخصية.. آلام يذكرها منذ توفيت والدته وهو صغير، فأثرت وفاتها في حياته تأثيرًا كبيرًا.. لعل من أظهر عناصره «شدة الحياء» التي طبعت حياته حتى اليوم.. وكان إلى حيائه وهدوئه يمثل الشخصية الكاملة لأبناء الصعيد.. فهو يكيف الحياة بمثله الصعيدية «الخاصة»، فنجده وديعًا رقيقًا مليء الصدر بالحنين إذا لمست نفسه لمسة عاطفية قد لا تحرك أحدًا من الناس.. ولكنه ينقلب أسدًا هصورًا

(١) د. عبد العليم محمد: الخطاب الساداتي - تحليل الحقل الأيديولوجي للخطاب الساداتي - كتاب الأهالي رقم ٢٧ - أغسطس ١٩٩٠ ص١١٥.

في اللحظة التي يشعر بأن أحدًا فكر مجرد تفكير في الاعتداء عليه.. كان هذا الصديق بيننا صورة حلوة للإخاء والصداقة والاتزان والهدوء والكرامة.. فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا جميعًا، فكأنه في سكونه وهدوئه وطابعه الخاصّ معنى مجسم حي لكل المعاني والانفعالات التي يمكن استخلاصها من تفاعل العواطف الإنسانية المتضاربة في إنسان.. قست عليه الحياة.. وهكذا.. وحول هذا الرجل التأمت مجموعة من الضباط الصغار الأصدقاء.. لم يكن أحد يدري أنها ستكون نواة لمجموعة أكبر وأن اجتماعها في تلك التباب البعيدة لن يكون مجرد صدفة تمر، ويتشتت من بعدها الأصدقاء، وإنما سيكون البدء الحقيقي لجهاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطر..»[1].

وذكر السادات كلامًا مناقضًا ومقللًا من صفات عبد الناصر، حتى اعتبره أقرب إلى الشخصية المعقدة في كتابه «البحث عن الذات» قائلًا:-

«كان جلستنا في حجرتي بالميس تتسع يومًا بعد يوم، وكان عدد الضباط الذين يشاركون فيها يزداد، وأذكر أني رأيت جمال عبد الناصر لأول مرة في هذه الجلسات، فقد لحق بنا هو الآخر مع كتيبته في منقباد.. وكان انطباعي عنه أنه شاب جاد لا يميل إلى المزاح مثل غيره من الزملاء، ولا يقبل أن يضاحكه أي إنسان، لأنه كان يرى في هذا مساسًا بكرامته، مما جعل أغلب الزملاء يبتعدون عنه ويتحاشون الكلام معه حتى لا يسيء فهمهم.. كان ينصت إلى مناقشاتنا باهتمام، ولكنه لا يتكلم إلاّ في القليل النادر، وقد توسمت فيه الجدية لأول وهلة، وكنت تواقًا إلى المزيد من التعرف عليه.. ولكن كان من الواضح أنه كان يقيم بينه وبين غيره من الناس حاجزًا من الصعب اجتيازه.. فقد كان منطويًا على نفسه بشكل

(١) محمد أنور السادات: أسرار الثورة المصرية – بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية – كنوز للنشر والتوزيع ٢٠١٠ ص٢٨، ٢٩.

يلفت النظر، ولذلك فكل ما قام بيننا – في تلك المرحلة – لم يخرج من نطاق الاحترام المتبادل ولكن عن بعد..»[1].

-ومن الملاحظ أن السادات (١٩١٨-١٩٨١) قد ذكر أوصافًا متميزة لعبد الناصر في كتابه «أسرار الثورة المصرية»، حيث ذكر بأن عبد الناصر صورة جادة «للإخاء» و«الهدوء» و«الصداقة والاتزان» ، ويمثل الشخصية الكاملة «لأبناء الصعيد» ، وكان «كثير التفكير» ، و«شديد الحياء» .. بينما صورته في البحث عن الذات «منطويًا على نفسه» ، «لا يقبل أن يضاحكه أي إنسان» ، وكان «ينصت إلى مناقشاتنا باهتمام» ، ولهذه الصفات «أغلب الزملاء يبتعدون عنه».. أي هناك فارق بين ما كتبه السادات إبان عهد عبد الناصر عن الثورة المصرية وجمال عبد الناصر وبين السادات بعد وفاته، وتعرضه لشخصية عبد الناصر بأوصاف قد تجعله شخصية معقدة ومنطوية.

-والغريب في الأمر أن السادات (١٩١٨-١٩٨١) لم يتوقف عن التعريض لعبد الناصر في شخصيته وصفاته فقط، بل تعرض لشخصية عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) ، وتعرض لسياساته وكيفية إدارته للبلاد ، بل أدانه في كل ما قام به.

-ففي كتابه «البحث عن الذات« ذكر السادات: «عندما تسلمت السلطة كانت التركة التي تركها لي عبد الناصر مبهمة بالنسبة لي في أول الأمر، ولكن أيًا كان الوضع الذي كانت مصر عليه فقد قبلت التحدي لأصححه.. كنت أعرف أنّ القيم قد ضاعت، ولكني أستطيع أن أصحح هذا بقيمي ومبادئي.. وليس بضرب الناس..»[2].

(١) أنور السادات : البحث عن الذات قصة حياتي – المكتب المصري الحديث ص٣٢

(٢) أنور السادات: مرجع سابق ص٢٨٨.

ويستطرد أنور السادات ثانية في عرض حالة الشعب المصري قبل توليه السلطة قائلًا: «وقد لاحظت أن الإنسان أصبح همنا أن نخيفه.. والخوف أخطر ما يهدم كيان الفرد أو الشعب، فلقد كانت أرزاق الناس كلها ملكًا للحاكم، إن شاء منح وإن شاء منع»[1].

-ويتعرض لمرحلة عبد الناصر صراحة قائلًا:-

«كانت التركة التي ورثتها من عبد الناصر في حالة يرثى لها.. فمن الناحية السياسية وجدت أن علاقتنا مقطوعة مع جميع أنحاء العالم ما عدا الاتحاد السوفييتي .. وفي العالم العربي ساد ما نادى به عبد الناصر وسمي بالتقدميّة والرجعية ، وبناء على هذا التقسيم التعسفي كان يقيم أو لا يقيم علاقاته بدول الأمة العربية..»[2].

-ويتعرض السادات لسياسة عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) قائلاً:-

«كانت السياسة عند عبد الناصر تخضع لانفعالاته، وقد أدرك هذا أولئك الذين يحيطون به ، ولذلك كانوا يستطيعون تطويعه كما يريدون ، إذا أحضروا إليه في الوقت المناسب المعلومات المناسبة التي يفجرها ، فتحدث في العالم دويًا هائلًا»[3].

-ويبين السادات (١٩١٨-١٩٨١) في موقف آخر ما تركه عبد الناصر في مصر بعد وفاته قائلًا:-

«كانت التركة التي ورثتها اقتصاديًا أسوأ بكثير من التركة السياسية، فاستقلال أي بلد حر هو في حقيقته الاستقلال الاقتصادي، وليس الشعارات السياسيّة، فماذا كان حالنا سنة ٧٠؟ كنا قد نقلنا بغباء شديد النمط السوفييتي ونحن نسير على الخط الاشتراكي رغم أننا نفتقر إلى

(١) أنور السادات : مرجع سابق ذكره ص ٢٨٩.
(٢) أنور السادات : مرجع سابق ذكره ص ٢٩٠.
(٣) أنور السادات: مرجع سابق ذكره ص ٢٩٠.

الموارد والإمكانيات وتراكم رأس المال.. ففي سنة ١٩٥٢ عندما استلمنا البلد كانت ميزانية مصر ٢٠٠ مليون جنيه، تركها لي عبد الناصر ٢٠٠٠ مليون..»[١].

جلال الدين الحمامصي

-أي أن ما قدمه السادات عن عبد الناصر لا يعتبر تناقضًا في الروايات الصادرة منه وفقط بل استتبعه السادات بالتمادي في محو صورة عبد الناصر خلال حكمه، حيث صنع «ثورة مضادة» ضد إنجازات عبد الناصر.. وسار على نهجه، ولكن «بممحاه»، وقد دفع العديد من الصحفيين للتعريض بشخصية عبد الناصر وذمته المالية وعلى رأسهم جلال الدين الحمامصي..!!!

-والحقيقة أن العلاقة بين السادات وعبد الناصر قد أثارت انتباه عديد من الباحثين والكتاب وشغلت أذهانهم وأفكارهم ردحًا من الزمان.. فقد وضعها بعضهم في إطارها «التآمري» من السادات ضد عبد الناصر، ومنها من اعتبرها مرونة من السادات وفهم للسياسة ومتغيراتها مع الأحداث الجارية.

(١) أنور السادات: مرجع سابق ذكره ص٢٩٣.

-ويرى غالي شكري (١٩٣٥-١٩٩٨) في كتابه «الثورة المضادة في مصر» عن هذه العلاقة بين السادات وعبد الناصر «والمعروف عن السادات أنه في ظل عبد الناصر لم يكن ميالًا للمعارضة أو حتى لإبداء الرأي، إلا حين يطلب منه فيصوغه وفق ما يتصور أنه سيكون رأي الرئيس، ولكن المؤكد أن السادات عضوًا بمجلس قيادة الثورة ونائب للرئيس قد عارض عبد الناصر مرتين، الأولى ذكرها مرارًا في خطبه « الناصرية» بعد توليه الرئاسة وهي أنهم في بداية الانقلاب اقترعوا على أسلوب الحكم، فكان عبد الناصر «حسب رواية السادات» في صف الديمقراطية، وكان هو مع غالبية زملائه في صف الديكتاتورية.. والمرة الثانية التي «عارض» فيها السادات عبد الناصر كانت حول «مشروع روجرز» الذي تقدم به وزير الخارجية الأمريكي لحل ما يسمى بأزمة الشرق الأوسط في ديسمبر -كانون الأول عام ١٩٦٩م، فقد كان ظن السادات - في هذه المرة - أن عبد الناصر لا يجرؤ على قبول مثل هذا المشروع في خضم حرب الاستنزاف التي يقوم بها الجيش المصري ضد القوات الإسرائيلية خاصة وأن مشاعر المصريين والعرب عامة كانت مهيأة ومعبأة لهذا الرفض..»[1].

-وتشاء المفارقات كما يقول غالي شكري (١٩٣٥ - ١٩٩٨ م) أن السادات الذي عارض عبد الناصر مرتين في حياته، ولم يكن يفكر في المعارضة، بل في استباق رأي الرئيس كان في كلتا المرتين هو «الرابح»، بينما خسر غيره من المعارضين الحقيقيين من ضباط اليمين أو ضباط اليسار، فمنذ صوت إلى جانب الديكتاتورية أصبح رئيسًا لمجلس الأمة «البرلمان» أغلب الوقت، وحين تقدم «روجرز» بمشروعه كان السادات في الشهر

(١) د. غالي شكري: الثورة المضادة في مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٧ ص٣٣، ٣٤

نفسه قد أصبح نائب للرئيس ، وإن كان البعض يلاحظ بكثير من الانتباه إبعاده شبه التام عن مهام السلطة التنفيذية، ولم يكن ولاؤه لعبد الناصر في حياته من ناحية ، وإبعاده عن السلطة التنفيذية من ناحية أخرى إلا وجهين لعملة واحدة هي : «أنه في ظل «الرجل الأول» يؤثر السلامة مع الحياة الرضية»[1].

-فالسادات (١٩١٨-١٩٨١) حسب رؤية شكري بارع في إدراك أصول «اللعبة» ، فهو يتفق مع عدة أطراف متعارضة في وقت واحد، ثم يختار الطرف الحاسم بعد فوزه، ولأنه يحترم قواعد اللعبة ، يظل منضبطًا طوال الوقت، حتى إذا تيسر له الفوز، طبق شروطها على الآخرين، كما كان يحدث له تمامًا ورد فعله على خصمه القديم هو الانتقام منه بالتشبه به، ورد فعله على حليفه أو صديقه أو زميله القديم هو التخلص منه..[2].

عادل حمودة

وقد ذكر عادل حمودة في كتابه «النكتة السياسية كيف يسخر المصريون من حكامهم» : «بأن السادات (١٩١٨-١٩٨١) استثمر موهبته كممثل في تقمص دور المريض أو المتمارض حتى لا يشارك في المواقف الحرجة.. ولم ينكر ذلك عندما سأله مصطفى أمين (١٩١٤-١٩٩٧) عن مدى صحته، وفسر موقفه بأن «هذه الثورة هي ثورة جمال عبد الناصر، وأن كل من يحاول أن يرفع رأسه فسوف يطيح به.. ولذلك قررت أن أبتعد».

-وسمع.. أنيس منصور القصة من السادات ، فضحك جدًا.. فسأله السادات عن السبب.. فقال:-

(١) د. غالي شكري : الثورة المضادة في مصر ص٣٤.
(٢) د. غالي شكري : مرجع سابق ذكره ص٣٥.

-ممكن أقولها بشكل آخر يا سيادة الرئيس.

-قصدك هذا المعنى؟

-نعم.. لو أذنت لي.. إن جمال عبد الناصر مثل الكماشة.. وسوف يقتلع كل مسمار له رأس.. والذي يكون بلا رأس غائرًا في الخشب.. وتكون القاعدة: يعيش أطول من كان بلا رأس.

-المعنى هكذا أوقع.. وأوجع!

لكن.. قل لي يا سيادة الرئيس.. هل كان صحيحًا ما يقال من أنك لست مصابًا بالقلب ؟ إنما كنت تعلن عن ذلك من حين إلى حين لتهرب من المواقف التي تجعلك تصطدم بعبد الناصر؟

-إن جمال عبد الناصر نفسه قد تصور ذلك، وقد حدث أن كنت مريضًا في «ميت أبو الكوم» ، فأرسل لي طبيبًا ليتأكد من ذلك.

-وهل صحيح ما يقال أنك في جنازة الرئيس عبد الناصر تظاهرت بأزمة قلبية ، وكذلك فعل السيد علي صبري، ولم تكن هناك أزمة ، إنما كانت لديك معلومات مؤكدة من أن محاولة لاغتيالك قد دبرت أثناء الجنازة؟

أنيس منصور

فضحك الرئيس السادات قائلًا: يا باي.. إن أحدًا لا يصدق أحدًا.. أعوذ بالله!

و«لم يثبت ولم ينف هذه الواقعة»[1].

-ويبدو مما سبق طرحه من حمودة في كتابه استنادًا لما عرفه أنيس منصور في كتابه «الدين

(١) عادل حمودة : النكتة السياسية – كيف يسخر المصريون من حكامهم – دار سفنكس للطباعة والنشر – الطبعة الخامسة ١٩٩٤ ص٢٢٦ ، ٢٢٧ وأيضًا: أنيس منصور : الدين والديناميت ص٥٣٠.

والديناميت» يصب في خانة ما طرحه غالي شكري (١٩٣٥-١٩٩٨) عن صفات السادات وطباعه تجاه من هم في موقع المسؤولية وإيثار السلامة مع الحياة الرضية ، وفهم لأصول اللعبة السياسية في التعامل مع الأطراف المعارضة.. وإن كان هذا الأسلوب لم ينجح في كل الأحوال مع السادات بعد أن تولى الحكم وكثرت معارضته ومعارضوه..!!

-والأوراق التالية تكون أكثر توضيحًا في تجلية شخصية السادات وتعامله مع الأحداث والمواقف والشخصيات.

٣-السادات وقضية الاغتيالات الكبرى وعلاقته بالحرس الحديدي

-من القضايا الشائكة والتي أثارت الجدل حولها والخلاف بشأنها وتعددت الآراء وتشعبت الطرق بين مؤيد ومعارض واتهام بالوطنية واتهام آخر بالعمالة هي قضية السادات وعلاقته بالحرس الحديدي ودوره في قضية الاغتيالات السياسية، والتي كان على رأسها اغتيال أمين عثمان (١٨٩٨-١٩٤٦)، ومحاولات اغتيال مصطفى النحاس (١٨٧٩-١٩٦٥).

-والجدير بالذكر في هذا الشأن أنّ قضية الحرس الحديدي وانتماء السادات إليه ودوره في قضية الاغتيالات السياسية وعلاقته بالألمان.. كل ذلك وغيره كان دافعًا لدى أعضاء تنظيم الضباط الأحرار إلى رفض «السادات» بعد أن أصر عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) على ضمه -كما أشرنا من قبل- وقدم محمد حسنين هيكل تفسير لذلك بقوله:-

«هناك من يرون أنه أراد عن طريقه أن يعرف أخبار القصر - صلته - بـ «يوسف رشاد»، وقد ألمح «أنور السادات» نفسه إلى هذا حين تحدث عن الخدمات التي أداها للثورة قبل قيامها، ولكن المشكلة أن «أنور السادات» لم يكن خلال هذه الفترة «النصف الأخير من ١٩٥١ والنصف الأول من ١٩٥٢» في القاهرة، وإنما كان بعيد في رفح والعريش، ومن ناحية أخرى فإن القصر كان قد بدأ يغلق ملف «الحرس الحديدي»، ويريد أن ينسى وينسى الناس كل شيء عنه بعد أن أصبح أمره معروفًا في دوائر عديدة، إلى درجة أنّ «أرنست بيفن» وزير الخارجية البريطانية في «حزب العمال» استدعى السفير المصري في لندن وقتها وهو «عبد الفتاح عمرو»، وطلب منه أن يسافر إلى القاهرة ليبلغ الملك «فاروق» أنه لا يليق بالجالس على عرش البلاد أن تكون لديه فرق تقتل خصومه وإرهابهم، يسخر فيها

بعض ضباطه وحرسه.. علاوة على ذلك فإن ضباط الحرس الحديدي وبالذات مجموعة مصطفى كمال صدقي قد تدخلوا في مشاكل وصراعات بينهم لأسباب شخصية، وبدأ هذا الصراع يطفو على السطح، بل ويكون موضوعًا لتحقيقات رسمية[1].

-وهناك رأي يتصل بهذه النقطة وهو أن «عبد الناصر» وضع أنور السادات (١٩١٨-١٩٨١) تحت الاختبار، وتصور أنه يستطيع إعادة توجيهه واستغلاله في معرفة تنظيم «الحرس الحديدي» لو فكر الملك «فاروق» في استعماله ضد «الضباط الأحرار» إذا حدث وأحس بوجودهم ونشاطهم، وهناك من اعتقدوا أن دافع «عبد الناصر» الحقيقي هو أنه كان يستطيع أن يزوّد القصر «الملكي» بمعلومات خاطئة عند اللزوم عن «الضباط الأحرار»، وأنه لهذا السبب كان يرى أن علاقات «أنور السادات» سوف تصبح أرجح الاحتمالات عميلًا مزدوجًا[2].

الملك فاروق يستطلع الحرس الحديدي

(١) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب - قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات - مركز الأهرام للترجمة والنشر - مؤسسة الأهرام - الطبعة الأولى في مصر ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨- ص٧٣.

(٢) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ص٧٣.

-وقد سأل هيكل عبد الناصر عن هذا الموضوع، فكان رد عليه:-

«إنني أردت أن أضع في إطار الحركة كل هؤلاء الضباط الذين اقترن اسمهم بالعمل السياسي في مصر، وقد تصورت أن دخولهم إلى دائرة «الضباط الأحرار» سوف يفتح صفحة جديدة من تاريخهم، كما أن سابق تجاربهم سوف تكون إضافة إلى حصيلة التنظيم..»[1].

-ويؤكد عبد الله إمام في كتابه المهم «الطريق إلى كرسي الرئاسة انقلاب السادات» عن هذا الموضوع وما أثاره في تنظيم «الضباط الأحرار» قائلاً:-

ناهد وشاند
كانت من « ضابطات » القصر

«ويتحدث السادات عن علاقته بطبيب القوات المسلحة يوسف رشاد قائلاً أنها بدأت في مرسى مطروح، وتوطدت أواصر الصداقة بينهما، حيث توسط الدكتور لإعادته إلى القوات المسلحة بعد الاستغناء عنه. وكان يوسف رشاد طبيب الملك زوج السيدة «ناهد» وصيفة الملكة والمشرف على تشكيل تنظيم الحرس الحديدي الذي أنشأه الملك فاروق (١٩٢٠-١٩٦٥) من ضباط الجيش للدفاع عنه، ولم يكن هذا التنظيم تابعًا للجيش، ولكنه كان تنظيمًا يرتبط بالملك مباشرة[2].

(١) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ص٧٣.

(٢) عبد الله إمام: الطريق إلى كرسي الرئاسة - انقلاب السادات أحداث مايو ١٩٧١ - دار الخيال - الطبعة الأولى- مارس ٢٠٠٠ - ص ٩.

-ويقول أحمد حمروش : «إن الحرس الحديدي بدأ فور تكوينه بمباشرة عملياته الإرهابية ، وأن عبد الرءوف نور الدين ومعه أنور السادات قد أطلق الرصاص على مصطفى النحاس (١٨٧٩-١٩٦٥) يوم ١٥ من أبريل ١٩٤٨ من عربة من عربات القصر الملكي كان بها أيضًا اليوزباشي عبد الله صادق من مطافئ القصر يقودها حسن فهمي عبد الحميد، فأخطأه رغم قرب المسافة، ثم شرع مصطفى كمال صدقي وعبد الرؤوف نور الدين في نسف منزله بسيارة حملت كمية كبيرة من المفرقعات يوم ٢٢ من أبريل، وذلك نتيجة موقف النحاس (١٨٧٩ - ١٩٦٥م) المتشدد من المسألة الوطنية ، ورفضه محاولات التقرب من الوفد على غير أساس إجراءات انتخابات جديدة، واستمر هذا «التنظيم» يواصل عملياته الإرهابية السرية ويتعرف على أحوال الضباط ليبلغها للسراي، ويحاول أن يحيط الملك بهالة مضللة تقنعه بأنه يمكن تحقيق الإصلاح عن طريقه، وكان يساند هذا الحرس محمد وحيد وزير الحربية وإسماعيل شيرين مدير إدارة فلسطين وزوج الأميرة فوزية[1].

-وقدم أنور السادات (١٩١٨-١٩٨١م) شهادة عن علاقته بـ«يوسف رشاد» في كتابه «البحث عن الذات»، حيث يتضح منها السبب الذي دفع عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) لضمه إلى تنظيم الضباط الأحرار، فيقول السادات:

«كان علينا أن نراجع حساباتنا ، وأن نعرف أين نقف بالضبط.. وهنا تذكرت يوسف رشاد الذي أصبح طبيب الملك الخاص.. وصلة الصداقة التي تربطني به.. لقد آن الأوان لكي أستخدم هذه الصلة لمصلحة القضية التي نعمل من أجلها.. واتصلت بيوسف رشاد، وكان في ذلك الوقت

(١) عبد الله إمام : مرجع سابق ذكره ، ص٩ ، ١٠.

صديقًا شخصيًا للملك «فاروق»، كما كان على رأس جهاز المعلومات الخاص بالسراي.. وجدت يوسف رشاد يأخذ كل ما أقوله له أمرًا مسلمًا به.. فلا جدال ولا مناقشة ولا شك من أي نوع.. الطريق مفتوح إذن لتضليل الملك وتخديره حتى يقوم تنظيمنا بالثورة»[1].

-ويستطرد «السادات» في كتابه البحث عن الذات قائلًا:

«والحقيقة أن هذا هو ما فعلت.. فكنت أقدم له معلومات خاطئة.. وعندما كان يعرض عليّ منشورات الضباط الأحرار كنت أوهمه أنها من صنع خيال ضابط معروف بحب التظاهر والعظمة، ولكنه في الحقيقة لا حول له ولا قوة.. وعندما كانت تصل إليه بعض الحقائق كنت أعمل جاهدًا على تصويرها في عينيه على أنها أكاذيب ومبالغات لا نصيب لها من الصحة»[2].

-وهذه الشهادة والتي طرحها «السادات» في كتابه تعني في نظر عبد الله إمام « أنّ العلاقة بينه وبين الدكتور يوسف رشاد كانت دائمة ومستمرة، وأنها كانت أبعد من الصداقة، فقد كان موضع ثقة المسؤول عن جهاز معلومات الملك، وكان السادات يقدم إليه معلومات عن الضباط الأحرار «خاطئة»، وكان يوسف رشاد يأخذ رأيه في منشورات الضباط الأحرار ويصدق رأيه ويثق فيها.. ثم إن السادات صديقه وهو يرأس جهازًا من الضباط يعمل لحساب الملك «فاروق» أليس من المنطقي أن يضم صديقه إلى هذا الجهاز وخاصة أنه يقدم إليه معلومات وهو يستشيره ويأخذ رأيه دائمًا.. ويقتنع بهذا الرأي، ويأخذ ما يقوله له أمرًا مسلمًا به بلا جدال أو مناقشة[3].

(١) أنور السادات : البحث عن الذات – قصة حياتي – المكتب المصري الحديث ص١٣٨.
(٢) أنور السادات : مرجع سابق ذكره ص١٣٨.
(٣) عبد الله إمام : الطريق إلى كرسي الرئاسة – انقلاب السادات – ص١١.

-ثم يقول السادات (١٩١٨-١٩٨١) بعد ذلك مفسرًا لماذا وضعه عبد الناصر (١٣٣٦-١٣٩٠هـ / ١٩١٨-١٩٧٠م) في قيادة الضباط الأحرار:-

«باستثناء عبد الناصر لم يكن أحد يعلم باتصالاتي مع يوسف رشاد الذي ظل سلاحًا من أهم أسلحة معركتنا، ولم نتوقف عن استخدامه إلى أن بلغنا هدفنا بالكامل، وأذكر أنه في أول يوليو ١٩٥٢ كنت أقضي أجازتي الشهرية بالقاهرة، وفي حديث لي مع عبد الناصر طرأت لي فكرة استطلاع أخبار الملك، فركبت عربتي الفوكسهول وتوجهت إلى الإسكندرية، حيث التقيت بيوسف رشاد في نادي السيارات بسيدي بشر، وعلمت منه أن الملك قلق لزيادة منشورات الضباط الأحرار.. طمأنت باله، ونسبت المنشورات كما اعتدت أن أفعل إلى أحد الضباط الذي كان مولعًا بالتظاهر، وإيهام الناس بأنه مهم.. وكنت ابتكرت بعض المعلومات الخاطئة المضللة.. فحكيتها ليوسف رشاد، وبعد أن اطمأن بالي إلى أنه نقلها إلى الملك.. ركبت عربتي وتوجهت إلى القاهرة حيث أطلعت عبد الناصر على نتائج رحلتي، وكانت إجازتي قد انتهت فعدت إلى مقر عملي في رفح[١].

وقد اعتمد عبد الله إمام على هذه المقولة «وغيرها» باعتبارها دليل إدانة ضد السادات، فيقول: «وإذا لم تكن هذه الكلمات التي كتبها السادات بنفسه تعني أنه عضوًا بالحرس الحديدي فإنها على الأقل تقول أنه كان مزدوج الرؤية والولاء.. وهي أيضًا تثبت بما لا يدع مجالًا للشك أنه متآمر.. وأن نقله أخبار التنظيم للملك فاروق، ونقله أخبار الملك للتنظيم، وتضليل الملك «فاروق» والإبلاغ عن ضابط مظلوم، وابتكاره سلفًا معلومات خاطئة.. ماذا يعني كل ذلك.. إذا أردنا أن نكون موضوعيين في حكمنا متجردين من كل هوى.. ألا تثبت شهادة السادات التي كتبها عن نفسه – وهو رئيس في البحث عن الذات – عن عقلية تآمرية؟![٢].

(١) أنور السادات: البحث عن الذات – قصة حياتي – المكتب المصري الحديث ص١٣٩.
(٢) عبد الله إمام: مرجع سابق ذكره ص١٢.

مراد غالب

-ويقدم مراد غالب (١٩٢٢-٢٠٠٧) وزير الدولة للشؤون الخارجية الأسبق رؤيته والتي تتقارب نسبيًا مع إمام عن السادات في كتابه «مع عبد الناصر والسادات سنوات الانتصار وأيام المحن قائلاً:-

«كنت أعرف الرئيس السادات معرفة وثيقة منذ قيام الثورة، وكنا نتزاور في بعض المناسبات، ثم توطدت علاقتي به عندما أصبح في عهد الرئيس جمال عبد الناصر مسؤولًا عن علاقتنا بالاتحاد السوفييتي، ولقد تعجبت من تعيينه لهذه المهمة، فالذي أعرفه عنه أنه لم يكن يحمل للاتحاد السوفييتي مودة خاصة أو محبة كاملة، لكنه -أي السادات- كان بارعًا في التمويه وإخفاء حقيقة مشاعره، وقد أخبرني الكاتب الصحفي مصطفى أمين (١٩١٤-١٩٩٧م) أنه سأل الرئيس عبد الناصر ذات يوم في أول الثورة عن الرجل الثاني في الثورة فقال له: إنه أنور السادات، وأضاف جمال عبد الناصر: إن رجل الشارع كان لا يعرف أحدًا من رجال الثورة سوى أنور السادات لعلاقته بقضية أمين عثمان، وإخراجه من القوات المسلحة ومحاكمته»[١].

-ويستطرد مراد غالب (١٩٢٢-٢٠٠٧م) في حديثه قائلاً:-

وأعتقد من استقرائي لتاريخ أنور السادات أنه من خلال تمرسه الطويل بالعمل السري قبل الثورة فقد تطبع بالمغامرة والتمويه والتآمر وهي صفات يعتقد الكثيرون أنها مهمة للرجل الذي يعمل بالسياسة ودليل حنكة وليست دليلًا على شخصية تآمرية لا تؤتمن[٢].

(١) مراد غالب: مع عبد الناصر والسادات - سنوات الانتصار وأيام المحن - مركز الأهرام للترجمة والنشر - مؤسسة الأهرام - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م - ص١٧٣.

(٢) مراد غالب: مرجع سابق ذكره ص١٧٣.

-وقد تحرك السادات (١٩١٨-١٩٨١) في تاريخه الطويل - كما يذكر غالب في كتابه «مع عبد الناصر والسادات» بين حبه الشديد للألمان في أثناء الحرب العالمية الثانية وبين ابتعاده عنهم بعد هزيمتهم.. والحقيقة أنه لو انتصر الألمان في هذه الحرب وانسحب البريطانيون فربما دفع ذلك بالجيوش البريطانية المنسحبة إلى تدمير مصر، ولم يكن السادات ينفرد وحده بهذا الحب للألمان إذ كان قطاع كبير من الرأي العام معجبًا بهم نكاية في البريطانيين[١].

-ويذكر غالب حقيقة هامة عن السادات (١٩١٨-١٩٨١) قائلًا:-

«كان السادات أيضًا بارعًا في الاتصال بقوى مختلفة ومتعارضة في الوقت نفسه ،الإخوان المسلمين، السراي من خلال الدكتور يوسف رشاد، قيادة الضباط الأحرار ، ومحاولات قتل النحاس باشا، واغتيال أمين عثمان وزير المالية.. لم يكن هذا يعيب السادات من ناحية وطنيته، وحبه لمصر ، فقد كنا جميعنا تقريبًا نبحث عن مخرج من مأزق الاحتلال البريطاني، كيفية القضاء عليه، ولم نكن راضين عن التوافق الذي حدث بين القصر والأحزاب السياسية الكبرى، وعلى رأسها الوفد وبين قصر الدوبارة «السفارة البريطانية»[٢].

-لم تكن علاقة السادات بالحرس الحديدي واغتيالات بعض الساسة المصريين وارتباطه بعد ذلك بحركة تنظيم الضباط الأحرار محل نقد من عديد من الصحفيين والكتاب وخاصة من كان منهم في خصومة سياسية مع السادات مثل محمد حسنين هيكل .. بل الغريب أن يكون السادات (١٩١٨-١٩٨١) محل اتهام ونقد من شخصية صحفية كبيرة ومعروفة باعتدالها في الرأي وهو أحمد بهاء الدين (١٩٢٧-١٩٩٦) والذي كتب كتابًا معنون بـ«محاوراتي مع السادات» حيث ذكر فيه:

(١) مراد غالب : مع عبد الناصر والسادات - سنوات الانتصار وأيام المحن - مركز الأهرام للترجمة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م ص١٧٣.

(٢) مراد غالب : مرجع سابق ذكره ص١٧٣.

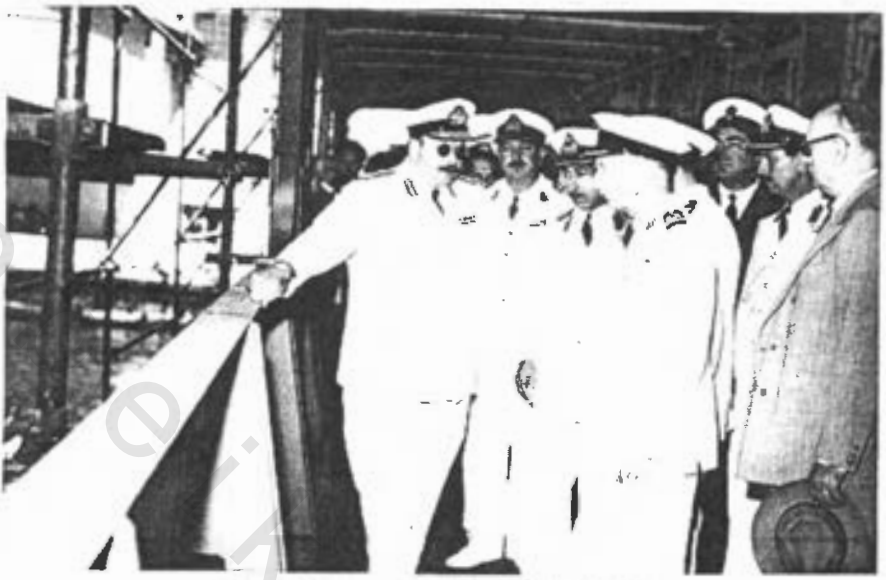

الملك فاروق أثناء مغادرته مصر بعد الإطاحة به

«عندما قامت ثورة ٢٣ من يوليو وفي الأيام الأولى بين فجر ٢٣ من يوليو وغروب شمس ٢٦ من يوليو بإبحار السفينة «المحروسة» حاملة الملك فاروق وأسرته وحاشيته، لم نعرف من الذين قاموا بالثورة إلا اسمين فقط ظهرا على مسرح تلك الأحداث، وهما اللواء محمد نجيب والبكباشي أنور السادات.. ولكن ظهور «أنور السادات» على النحو الذي ظهر به في هذه الأيام الأربعة كان يزعجني ويثير مخاوفي ويجعلني أطرح أسئلة كثيرة.. فاسم أنور السادات معروف للناس قبل ذلك بعشر سنوات تقريبًا، وكان اسمه يظهر في ملابسات تثير الشك

والارتياب، فأول مرة سمعنا اسمه كان في حادث عوامة الراقصة حكمت فهمي[1] حيث ضبط يساعد ضباط ألمانًا نازيين تسللوا إلى القاهرة وجيوش رومل تقتحم الحدود المصرية.

الراقصة حكمت فهمي

وكان مألوفًا في تلك الأيام أن نرى شبابًا وطنيًا يهتف ترحيبًا بالألمان كراهية في الإنجليز.. وظهور ضابط مصري، وليس تلميذًا في المدارس والجامعات في موقع الاتصال بجيوش الألمان معناه في أحس الأحوال أنه

(١) كانت الراقصة حكمت فهمي ترقص في إحدى النوادي الليلية بالنمسا، حيث تمكنت المخابرات الألمانية من نسج خيوطها حول الراقصة المصرّية بعد أن شاهدها رئيس المخابرات الألمانية وهي ترقص في النمسا ، فدعاها للرقص أمام هتلر ووزير دعايته «جوبلز» في ألمانيا، وعندما شاهدها جوبلز أعطى تعليماته بتجنيدها لصالح الألمان الذين كانوا يعرفون حجم شعبيتها لدى كبار ضباط الإنجليز.. وقد دفعت المخابرات الألمانية بالجاسوس الألماني إبلر حسين جعفر ، وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية عادت حكمت فهمي إلى مصر لترقص في ملهى الكونتيننتال دون أن تعلم أنه قد تم تجنيدها ضمن جهاز المخابرات الألماني من خلال العلاقة التي نسجها حولها حسين جعفر.. وحينما تعطل جهاز اللاسلكي تمكنت حكمت فهمي من استدعاء الضابط «أنور السادات» الوطني الثائر لإصلاح الجهاز، ليرتبط السادات مع حكمت فهمي والجاسوس الألماني إبلر بأكبر قضية تجسس في ذلك الوقت.. ولزيادة التفاصيل في هذا الأمر انظر : السادات Sadat للدكتور مصطفى أحمد – المصرية للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – القاهرة ٢٠٢٠ ص٢٩ وما بعدها.

مؤمن بالمبادئ النازية وإنه فاشستي التكوين، وبالتالي فهناك احتمال كبير أن يكون الضباط الآخرون الذين لا نعرفهم تعبر عن نفس نمط تفكير.. وظهر اسم أنور السادات بعد ذلك مرة ثانية باشتراكه في محاولة اغتيال أمين عثمان باشا (١٨٩٨ – ١٩٤٦) وزير مالية الوفد رجل الإنجليز الأول الذي أصبح همزة الوصل بين قيادة الوفد وبين الإنجليز ، واغتيال مجموعة من الشباب – حسين توفيق وزملائه ومنهم من كان عمره نحو خمس عشرة سنة كوزير الخارجية اللاحق محمد إبراهيم كامل (١٩٢٧-٢٠٠١) – لعميل الاستعمار أمر وارد وغير مستغرب منهم كما يحدث في أي مكان في العالم .. ولكن وجود أنور السادات بينهم ضابطًا في الجيش كان مدعاة للاستغراب..»[١].

-ويستطرد أحمد بهاء الدين (١٩٢٧-١٩٩٦) في شرح سبب الاستغراب وموضحًا دور القصر في قضية مقتل أمين عثمان (١٨٩٨-١٩٤٦) وسهولة هرب المتهمين قائلًا في هذا الشأن: «وحين تطورت القضية وأصبح معروفًا أن الملك فاروق «١٩٢٠-١٩٦٥» يحاول أن يساعد هؤلاء نكاية في حزب الوفد الذي جاء إلى الحكم في الحرب «٤فبراير عام ١٩٤٢» رغم أنفه وقعت على هذا العمل شبه كثيرة خصوصًا ما حدث بسهولة شديدة من تمكين حسين توفيق الذي قتل عثمان بيده والمتهم الأول من الهرب من محكمة باب الخلق ، ثم سرقة أوراق القضية كلها في أثناء المحاكمة في وسط الشارع ووضح النهار، ثم تهريب حسين توفيق وزميل له من مصر إلى سوريا بنفس السهولة كان ينم عن وجود يد للقصر في هذه الأحداث[٢].

-ويستفيض بهاء الدين في شرح المواضيع والتي أثير بشأنها اسم أنور السادات ولا سيما موضوع محاولة اغتيال مصطفى النحاس (١٨٧٩-١٩٦٥) زعيم الوفد قائلًا:-

(١) أحمد بهاء الدين: محاوراتي مع السادات – دار الهلال – الطبعة الثانية عام ١٩٨٧- ص٧ ، ٨.
(٢) أحمد بهاء الدين : محاوراتي مع السادات – دار الهلال ، ص٨.

«وبعد ذلك تردد اسم أنور السادات –همسًا– وليس رسميًا كالمرات السابقة في حادث اغتيال مصطفى النحاس باشا في شارع القصر العيني بالمدافع والرشاشات، ثم محاولة اغتياله مرة أخرى بنفس بيته في جاردن سيتي بواسطة سيارة لوري محملة بكميات كبيرة من المتفجرات «ثبت بعد ذلك بسنوات وبعد قيام الثورة Revolution أن السادات اشترك فعلًا في الحادثتين»[1].

.. وشاعت حكاية أن الملك فاروق (١٩٢٠-١٩٦٥) قد كون حرسًا حديديًا – يقوده الضابط وطبيبه الخاص يوسف رشاد لاغتيال أعداء الملك، وأصبحت على كل لسان، وكان يذكر اسم أنور السادات واسم مصطفى كمال صديق كعضوين بارزين في الحرس الحديدي «وقد ثبت أيضًا أن أنور السادات كان فعلًا في الحرس الحديدي مع الضابط مصطفى كمال صدقي وحسن فهمي عبد الحميد الذي أصبح سفيرًا لمصر في المغرب وخالد فوزي الذي أصبح سفيرًا لمصر في البرازيل وغيرهم»[2].

–هذه الملابسات كلها – كما يذكر بهاء الدين – والتي ظهر فيها اسم أنور السادات، والذي ذهب فجر ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ إلى مبنى الإذاعة

(١) ويقول د. مصطفى أحمد في كتابه «السادات» عن قضية مقتل أمين عثمان : أنه قد اشتهر اسم محمد أنور السادات في الأربعينيات من القرن الماضي حين ورد اسمه ضمن المجموعة التي قامت في مساء الثلاثاء ٦/ ١/ ١٩٤٦ باغتيال أمين عثمان وزير المالية السابق بوزارة الوفد بإطلاق النار عليه أثناء دخوله نادي الرابطة المصرية البريطانية في شارع عدلي باشا، وظل أنور السادات يذكر بفخر اشتراكه في هذه الجريمة، مؤكدًا أن أمين عثمان كان يستحق ما جرى له، ومن حيثيات هذا الاستحقاق أن أمين عثمان كان معروفًا بصلاته الوثيقة والمريبة بالمحتل الإنجليزي، وكان لا يتوانى عن استفزاز مشاعر المصريين بعبارات جارحة، منها قوله: «إن مصر قد تزوجت من إنجلترا زواجًا كاثوليكيًا لا طلاق فيه..» .. وقد ذكر د. مصطفى أحمد أيضًا في معرض ثان مفارقة غريبة أنه : « من الملاحظ أن السادات اشترك في قتل أمين عثمان يوم الثلاثاء من شهر يناير، وجاء مقتل أنور السادات بعدها بسنوات كثيرة في يوم الثلاثاء السادس من شهر أكتوبر، ولعلها حكمة القصاص العين بالعين والثلاثاء بالثلاثاء والسادس من الشهر بالسادس من الشهر، ومن قتل بالفتحة على القاف يقتل بالضمة على الياء ولو بعد حين!».

– ولزيادة التفاصيل .. انظر: د. مصطفى أحمد «السادات» Sadat – المصرية للنشر والتوزيع – القاهرة – ٢٠١٠ ص٢٧، ٢٨.

(٢) أحمد بهاء الدين : مرجع سابق ذكره ص٩.

ليلقى البيان الأول للثورة Revolution كان مثيرًا للقلق وعلامات الاستفهام هل هو وزملائه من أصحاب الآراء الفاشيستية؟ أم الذين تراوحت علاقاتهم بالملك فاروق (١٩٢٠-١٩٦٥) بين الولاء والعداء؟ أم ضباط يناصبون الحزب الشعبي في مصر – وهو حزب الوفد – العداء؟

«كل هذه الملابسات كانت بالنسبة لي أكبر علامة استفهام في تلك الأيام من الثورة ...»[١].

محمد إبراهيم كامل

-وقد ذكر محمد إبراهيم كامل (١٩٢٧ - ٢٠٠١) وزير الخارجية الأسبق في كتابه المهم «السلام الضائع في اتفاقيات كامب ديفيد» ما حدث في قضية أمين عثمان، والتي اشتهرت بقضية الاغتيالات السياسية الكبرى قائلًا:-

«كان هناك تعاطف شعبي واسع النطاق مع المتهمين، حيث كانوا من طلبة الجامعات الشبان صغيري السن، وكان الشعور الوطني ضد الإنجليز فياضًا نظرًا لفشل الجهود التي تقوم بها وزارة بعد أخرى في المفاوضات لحمل الإنجليز على الانسحاب من مصر، ومن ناحية كانت سمعة أمين باشا عثمان كعميل لإنجلترا معروفة للجميع»[٢].

-وقد ذكر كامل بأنه قد انبرى للدفاع عن المتهمين فطاحل المحامين سواء كانوا موكلين أو متطوعين، كما دعى للشهادة فيها غالبية الزعماء السياسيين مثل النحاس باشا (١٨٧٩-١٩٦٥) رئيس الوزراء السابق ورئيس حزب الوفد، وعلي ماهر باشا (١٨٨١-١٩٦٠) رئيس الوزراء السابق ورئيس الديوان الملكي، وحافظ باشا رمضان (ت١٩٥٥) رئيس

(١) أحمد بهاء الدين: مرجع سابق ذكره ص٩.

(٢) محمد إبراهيم كامل: السلام الضائع في اتفاقيات كامب ديفيد – مركز الأهرام للترجمة والنشر – الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ص١٩.

الحزب الوطني ، وحسين باشا سري رئيس الوزراء السابق ، ومحمد حسين هيكل باشا (١٨٨٨-١٩٥٦) رئيس مجلس الشيوخ، ومكرم عبيد باشا (١٨٨٩-١٩٦١) رئيس حزب الكتلة الوطنية، وبهي الدين بركات باشا رئيس ديوان المحاسبة[١].

-وقد ذكر أنور السادات (١٩١٨-١٩٨١) تفاصيل كثيرة عن هذه الموضوعات في كتابه «البحث عن الذات» والأسباب المتفق عليها من سقوط مصطفى النحاس لهيبته لقبوله الوزارة في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ قائلاً في هذا الصدد:-

«كان ذلك في ٤ من فبراير ١٩٤٢ .. تاريخ لا ينساه.. في ذلك اليوم سقط النحاس في نظرنا.. إذ كيف يقبل أن يفرضه المستعمر على البلد بقوة السلاح؟ فتجمع الضباط بالقاهرة وسرنا إلى قصر عابدين تحية للملك الذي خرج لرد التحية..»[٢].

-ومما سبق يمكن لنا أن نضع الملاحظات التالية:-

١-إن ممارسة العمل السري بالنسبة للسادات (١٩١٨-١٩٨١) وارتباطه بالحرس الحديدي أساء إلى سمعته وأجلّ إلى فترة انضمامه إلى تنظيم الضباط الأحرار، وأن الوحيد الذي أصر على أن يكون بصفوف التنظيم هو عبد الناصر نفسه، وذلك للاستفادة منه لمعرفة ما يدور في القصر الملكي من خلال صداقته الحميمة بـ«يوسف رشاد» رئيس الجهاز..!!

٢-إن العمل السري جعل السادات يميل إلى التفاجؤ والتآمر والتشكك في الآخرين والانقلاب عليهم إذا حانت الفرصة والاحتفاظ بالسرية ، ونحن نميل إلى القول بأن العمل السري وممارسة السادات له منذ فترة هو الذي دفعه إلى الانقلابات في القرارات والمواقع واعتماد أسلوب

(١) محمد إبراهيم كامل: مرجع سابق ذكره ص١٩.

(٢) أنور السادات : البحث عن الذات – قصة حياتي – المكتب المصري الحديث «مجلد» ص٤٧.

التآمر ، وقد أثر هذا الأسلوب على عقلية أنور السادات وحتى بعد أن تحول من العمل السري – قبل الثورة – إلى إدارة الدولة بعد ذلك!!!

٣-إن انتماء السادات للحرس الحديدي وصَم حياته وشوّه صُورته!! وكان من مآخذ السياسيين والمؤرخين عليه حيث كان الولاء والانتماء للملك فاروق (١٩٢٠-١٩٦٥).. وإذا قدم البعض عذرًا في اشتراكه في اغتيال أمين عثمان (١٨٩٨-١٩٤٦م) رجل الإنجليز في مصر – وقتئذ – فمشاركته ومحاولته قتل مصطفى النحاس باشا (١٨٧٩-١٩٦٥م) أكثر من مرة هي الشي الغريب والتي تصمه وصمة سيئة وتشينه حيث إن الدافع لم يكن وطنيًا جارفًا أو إخلاصًا لوطنه وإنما لرغبة ملك يود التخلص من خصومه، والذين أرغموه على تولي الوزارة تحت سنابك الدبابات وإن كان تحفظنا كبيرًا على قبول مصطفى النحاس هذا الأمر في ٤ من فبراير ١٩٤٢ مهما كانت مبرراته.. فقد أدى هذا القبول إلى سقوط هيبة النحاس وضعف شأن سياسته ووصمته بقبول الإنجليز واحتلالها للبلاد وتمكينها من هذا الاحتلال باعتبار استعمار Colonialism إنجلترا لمصر وقدرًا لا فكاك منه..!!

٤-إن اتهام السادات (١٩١٨-١٩٨١م) بالجاسوسية لحساب الألمان في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) فالحقيقة أن كثير من المواطنين المصريين كانوا يميلون إلى الألمان لا حبًا لهم، ولكن كراهية للإنجليز لدرجة أن هناك مظاهرات دبت بمصر تعلن: «إلى الأمام يا روميل» ، فربما ارتأى السادات أن الوسيلة المثلى للتخلص من الإنجليز شأن الكثيرين هو التعاون مع الألمان، ورغم ما بداخل هذا الرأي من آفة تجعل الإنسان يستجير من الرمضاء بالنار ولكن بالتأكيد الحكم على «السادات» الآن يختلف لأن الفكر مرتبط بواقع الأحداث وظروف الحياة وملابسات الواقع وليس بشكل مجرد من كل هذه الظروف الموضوعية.

روميل

ملاحظة أخيرة:

-إذا كان الأمر بالنسبة لعبد الناصر (١٣٣٦-١٣٩٠هـ - ١٩١٨-١٩٧٠م) هو معرفة أسرار القصر الملكي قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ومدى متابعته لأخبار التنظيم والتمويه على القصر وحرسه الحديدي من خلال ما يفعله «السادات» فما بال عبد الناصر يحتفظ بالسادات بعد نجاح الثورة ويترقى في مواقع السلطة من نائب البرلمان وحتى رئيس مجلس الأمة ثم نائب لرئيس الجمهورية.. ومن ثم.. لم يكن الأمر في حاجة إلى ازدواج الولاء والانتماء أو التظاهر بمعرفة أسرار القصر والتحايل على الجهاز لتضليل الملك فاروق (١٩٢٠ -١٩٦٥).

-هذه الإشكالية يتوجب على بعض الناصريين الباحثين والدوغمائيين الإجابة عنها لإيجاد إجابة تاريخية لهذه الإشكالية العويصة، والتي جعلت من عبد الناصر يضع السادات بجانبه بعد الثورة ليصبح نائبه رغم معرفته بصفاته وتعدد ولاءاته واتهامه واعترافه بانتمائه إلى الحرس الحديدي الملكي لقتل معارضيه أو التخلص منهم..!!![1]

(١) قرأت في كتاب محمد منير «سجين سياسي» - الصادر عن دار نشر هلا - رأي سامي شرف في أنور السادات ردًا على سؤال منير عن كيف احتفظ عبد الناصر بالسادات وعينه نائبًا له رغم ما أثير عن شخصيته من شبهات، فذكر شرف أن: « إسناد منصب نائب رئيس الجمهورية إلى أنور السادات كان له ظروفه الخاصة، فعندما صدر بيان ٣٠ من مارس كان جمال عبد الناصر مُصرًا على أن تكون البداية بمجلس جديد على أساس أن المجلس الحالي ينتهي في مارس ، ولابد من وجود صف ثانٍ وثالث، وعندما قرر التنحي عن الحكم خصص له غرفة في مبنى الاتحاد الاشتراكي من أجل أن يقيم فيها، وقال: سأعيش الباقي من حياتي كداعية وليس كرئيس دولة، وبالفعل ترك بيته وأسرته ، وكان كل أعضاء مجلس قيادة الثورة قد خرجوا برواتب وزراء ، والوحيد الذي لم نستطع أن نخرجه أنور السّادات، وقد كان راتبه ٢٦ جنيهًا و٧٥ قرشًا، لأنه لم يبق سنة كاملة وزيرًا ، والقانون ينص على أن الوزير لا يستحق معاش وزير إلا بعد مرور سنة ميلادية كاملة ، وبعدها يقبض ١٥٠ جنيهًا، ولذلك لو تم تطبيق القرار على أنور السادات كان سيخرج براتبه، لذلك قرر الرئيس جمال عبد الناصر تعيينه نائبًا لرئيس الجمهورية ليحصل على معاش نائب رئيس جمهورية ليس أكثر ، وهنا كانت الكارثة..» ، وهذا الكلام تبرير هش وغير مقبول لاستمرارية السادات كنائب لرئيس الجمهورية، ويدل على أن عبد الناصر كان يعين أي مسؤول عن طريق الخواطر وترضية النفوس دون النظر لحاجة الدولة لقيادة مسؤولة وقادرة على إدارتها بشكل واع ودبلوماسية جادة!!. وهذا الكلام يسيء لعبد الناصر ولا ينصفه - من قبل كاتم أسراره سامي شرف.. ولذا لم نعول عليه أو نناقشه في متن الكتاب، لأنه ليس فيه ما يرضى ، وربما تفوح منه رائحة خصومته مع السادات في عام ١٩٧١..!!

٤-من القضايا الشائكة والتي أثارت الجدل حولها والخلاف بشأنها

السادات .. وفن السينما وليلة ٢٣ يوليو

«مناقشة لحقيقة تاثير فن السينما على السادات وأسلوب حياته»

-ومن الأمور التي أحدثت لغطًا شديدًا حول السادات وأنتجت نقاشًا حادًا عن شخصيته وعلاقتها بالفن عمومًا ومدى أثر هذا الفن على حياته ومنهج شخصيته ودوره ليلة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ وحضوره وذهابه إلى السينما في ليلة من أهم ليالي التاريخ السياسي في مصر.

أ-السادات والفن السينمائي

عزيزة أمير

-لم تكن علاقة السادات بالفن تتمثل فيما حدث ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بل امتدت قبل ذلك بكثير بل يراها عدد من السياسيين ومن كانوا بالقرب من السادات، أنه قام بالتمثيل داخل أروقة السياسة!!.. فيقول محمد حسنين هيكل عن السادات في كتابه «خريف الغضب» : «وفي منتصف الثلاثينيات وفي الأيام الأولى من حياة السينما المصرية، كانت هناك منتجة سينمائية اسمها «عزيزة أمير» ، وقد نشرت هذه السيدة إعلانًا في إحدى المجلات تعلن فيه عن حاجتها إلى وجوه جديدة تظهر في فيلم كانت تنتجه في ذلك الوقت، وكانت تطلب من الذين يستجيبون لإعلانها أن يبعثوا إليها بصور فوتوغرافية لهم، ثم يذهبوا بعد ذلك إلى شركتها لكي

تجري معاينة أوصافهم، وكان «أنور السادات» واحدًا من الشبان الذين ردوا على هذا الإعلان، وتقدموا للمسابقة، كتب في الخطاب الذي بعث به إليها يقول: «قوامي نحيل ، لست أبيض اللون، ولكني لست أسودًا، إن وجهي أسمر ولكنها سمرة مشربة بالحُمرة»... ووقع بإمضائه «أنور السادات»[1].

-وحينما أصبح أنور السادات رئيسًا لتحرير جريدة الجمهورية بعد الثورة كتب في يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٥٥ بالعدد ٧٠٥ حيث ذكر فيه : «منذ فجر شبابي وأنا أحس بميل شديد للفن والفنانين، ولي في هذا المجال قصص كثيرة.. ثم يستطرد فيروي إحدى هذه القصص بالتفصيل، فيقول: « في يوم من الأيام قرأت إعلانًا تطلب فيه الفنانة عزيزة أمير وجوهًا جديدة لفيلمها الذي كانت تزمع عمله وهو فيلم «تيتاونج» ، وأذكر أنني توجهت إلى مقر الشركة في عمارة بشارع إبر هيم باشا ، حيث جاءت الفنانة عزيزة أمير واستعرضتنا جيئة وذهابًا، وكنا أكثر من عشرين شابًا، انتقت منا اثنين، وطلبت من الباقين أن يرسلوا لها بصورتين إحداها فاس «بالمواجهة» ، والثانية بالبروفيل «لقطة جانبية» ، ولم يكن هذا المطلب إلا زحلقة..»[2].

-ثم استطرد السادات قائلًا: بعد ذلك أقلعت عن هذه الهواية، فقد دخلت الكلية الحربية ، وكنت دائمًا أحس في نفسي الفخر والزهو بالجندية إلى أن شاءت المقادير أن أطرد من الجيش، ولم أكن قد خدمت سوى أربع سنوات، واعتقلت عقب طردي مباشرة، حيث أمضيت أكثر من سنتين، وهنا كان عليّ أن أمثل دورًا حقيقيًا على مسرح الحياة وأنا هارب حتى لا يقبض عليّ البوليس ، كان عليّ أن أمثل كل شيء ، وكل دور إلا الحقيقة.. مثلت مثلًا دور سائق لوري ، وجلست مع السائقين.. ومثلت

(١) محمد حسنين هيكل: خريف الغضب ص٤٢.

(٢) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق ذكره ص٤٢.

دور مقاول من مزعونة والحواميدية.. وإلى جانب هذه المتعة لم تخل حياتي في تلك الفترة وأنا أمثل..»[1].

وقد أوصلت عبارة السادات في المقالة – المشار إليها – والتي يقول فيها: «إنني لا أجد نفسي حقيقة إلا في صحبة الممثلين» ، إلا أن السادات قابع بداخله ممثل أداه على مسرح الحياة، فخلط بين التمثيل والحقيقة!!

-وقد أكد هذا الطرح وسار على نهجه الكاتب عادل حمودة ، حيث ذكر في كتابه «النكتة السياسية – كيف يسخر المصريون من حكامهم؟» عن مدى اهتمام السادات بالفن بقوله: « ولم يكن السادات يعشق الفرجة على أفلام السينما فقط.. وإنما كان يتمنى أن يصبح أحد نجومها.. ومنذ فجر شبابه وهو يحلم بالوقوف أمام كاميرات السينما.. ففي سنة ١٩٣٦ ، وكان طالبًا بمدرسة «رقي المعارف» الثانوية استجاب لإعلان طلب وجوه جديدة ، وأرسل صورة فوتوغرافية له ، وكتب يصف نفسه بأنه: «طويل – وسطي رفيع جدًا.. وصدري مناسب.. وسيقاني قوية»، ومتحكم في صوتي، أقلد صوت يُوسف وهبي.. وتارة تجدني أقلد صوت أم كلثوم»[2].

(١) محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ذكره ص٤٣

(٢) عادل حمودة: النكتة السياسية – كيف يسخر المصريون من حكامهم ؟ - دار سفنكس للطباعة والنشر – الطبعة الخامسة- يناير ١٩٩٤ ص٢٢٥.

-ويعلن حمودة رأيه في هذا الأمر ومؤكدًا على كلام هيكل قائلًا في هذا الشأن: «ومع أنه لم يصبح ممثلًا.. فإنه لم يتنازل عن هذه الموهبة حتى عندما احترف السياسة.. وهذا الرأي يجمع عليه أيضًا السادات وخصومه.. فهيكل يعتبره أحد نجوم عصر التليفزيون، ويعتبره أول حاكم مصري يأتي إلى الشعب وهو مسلح بكاميرا.. وهو نفسه قال: إنه لو كان ممثلًا لفضل القيام بالأدوار الكوميدية»[1].

-أما دورين كايز مراسلة إحدى شبكات التليفزيون الأمريكية في القاهرة أثناء مفاوضات الصلح مع إسرائيل فتقول: في كتابها «ضفادع وعقارب»: «إن موهبة السادات في التمثيل كانت موهبة نظرية، وكانت تقوده إلى نوع من الأداء المأساوي – الكوميدي .. وكان السادات يحافظ على بعض حركاته كممثل.. فكان .. مثلًا: «يرمش بعينيه الاثنين بتلك الحركة الغريبة التي أصبحت ماركة مسجلة بصورته كلما ظهر على شاشة التليفزيون»[2].

-وتعترف دورين كايز بأنها أحست بالغيرة منه لبراعته في «خطف الأضواء».. ولكن إحساسها به كممثل جعلها تتعامل معه «كنجم – زميل» لا كرئيس دولة.. فكان أن «مددت يدي فربت على ركبته بحركة لا شعورية..»[3].

-ولكن موسى صبري (١٩٢٥-١٩٩٢) كاتب السادات وصديقه الحميم كان ينظر للسادات بمنظار آخر من خلال ما كتبه عنه في

(١) عادل حمودة: مرجع سابق ذكره ص٢٢٥، ص٢٢٦.

(٢) دورين كايز: ضفادع وعقارب – ترجمة مصطفى كمال – كتاب البيان ص٣٥ وما بعدها، وعادل حمودة في مرجع سابق ذكر ص٢٢٦.

(٣) دورين كايز: مرجع سابق ذكره ص٣٥، ص٣٦ وعادل حمودة مرجع سابق ذكره ص٢٢٦.

سِفره الكبير «السادات الحقيقة والأسطورة» ، حيث يقول: «وفي معتقل الزيتون عام ١٩٤٣ كان السادات يغني أغنيات «أسمهان» ، ويطرب للأصوات الجميلة.. وقد نشر في كتاب «البحث عن الذات» أنه أراد أن يكون ممثلًا في شبابه ، ولم يُقبل عند اختياره، وكان يريد أن يثبت أن يستمر في الفن من أجل مصر ومن أجل مجتمع مصر كان يحلم بالتمثيليات الضخمة والأبريتات الكبيرة عن تاريخ مصر..»[1].

-ويستطرد موسى صبري (١٩٢٥-١٩٩٢) في عرض علاقة السادات بالفن قائلاً:-

«وقد تشبعت أسرته بحب الفن.. واحترام الفنانين والفنانات.. وكانت السيدة جيهان تنوب عنه في زيارة المرضى منهم وأداء واجب العزاء، وكان الفنانون يلجؤون إلى الرئيس في مشكلاتهم وهم يشعرون أنه راعيهم والمسؤول عن إزالة أية عقبات أمامهم، وهو الذي قرر معاشات استثنائية لأسر الفنانين الذين توفوا ولم يتركوا موردًا لأسرهم، وكان هو الذي يبحث حالاتهم ويقرر المعاش الاستثنائي ، وعندما قرر معاشًا استثنائيًا لأسرة المرحوم إسماعيل ياسين ، ثم تلقى شكوى من زوجته بعد شهرين من القرار أنها لم تصرف شيئًا.. غضب السادات من وزير الثقافة حينئذ.. وقال : إذا كان عاجزًا عن تنفيذ قرار مالي بمعاش

(١) موسى صبري: السادات الحقيقة والأسطورة – المكتب المصري الحديث – الطبعة الثانية ٢٠ أكتوبر ١٩٨٥ ص١٩٣.

لأسرة فنان.. فكيف يصلح لإصدار وتنفيذ قرارات كبيرة، وأخرجه السادات من الوزارة، وكان قد أمضى في منصبه وقتًا قصيرًا..»[1].

-ويستطرد صبري متحدثًا عن حقيقة علاقة السادات بالفن قائلًا: «وكان السادات.. عاشقًا للمسرح والسينما، وقد نشر بعد الإفراج عنه في قضية مقتل أمين عثمان منذ أربعين عامًا نص المسرحية التي مثلوها داخل السجن، وقام هو فيها بدور السلطان.. وكان حريصًا على أن يحضر احتفال عيد الفن كل عام، وهو صاحب الفكرة، وأن يلقي خطابًا أمام أهل الفن عن رسالة الفنان نجو مجتمعه.. وأن يكرم الفنانين بشخصه، وعندما تعثرت خطوات الفنانة زينات صدقي وهي تتقدم إليه لتتسلم جائزتها بسبب المرض، ترك هو مقعده وتقدم إليها..»[2].

-وعلى الرغم من حميد الخصال والتي ذكرها في وصف السادات كاتبه موسى صبري (١٩٢٥-١٩٩٢) وخاصة فيما يتعلق بحبه للفن والفنانين، إلا أن الكثير ومنهم خصومه السياسيين لديهم قناعة تامة بأن السادات (١٩١٨-١٩٨١) بداخله ممثل وأنه مارس التمثيل والفن في دهاليز السياسة!! ويذكر عادل حمودة في كتابه «النكتة السياسية» بأن السادات وبسبب مبادرته حصل على نصف جائزة «نوبل للسلام»،

(١) موسى صبري: السادات والحقيقة ص١٩٣.

(٢) موسى صبري: مرجع سابق ذكره ص١٩٢، ١٩٣.

بينما حصل مناحيم بيجين (١٩١٣ – ١٩٩٢) على النصف الثاني منها.. وقد استلم الجائزة بدلاً من السادات سيد مرعي (١٩١٣-١٩٩٣).. لكن جولدا مائير (١٨٩٨ – ١٩٧٨) علقت على ذلك قائلة: «إن السادات لا يستحق جائزة نوبل وإنما جائزة الأوسكار»، أي أنه ممثل أكثر منه رئيس دولة[١].

السادات وجولدا مائير

- ويذكر د. أحمد عبد اللطيف شيحه في كتابه «بين العصرين» تفسيرًا جديدًا عن حب السادات للفن خاصة بعد توليه الحكم واشتداد معارضته قائلًا :

فايز حلاوة

«كنت أسمع دائمًا من والدي أن الرئيس السادات كان يعشق الفن، وبالأخص الطرب، وكان يستقبل كثيرًا من الفنانين بجريدة الجمهورية، كما كان يقال في نهاية السبعينيات أنه يستقبل مجموعة أخرى من الفنانين خصوصًا

(١) عادل حمودة : مرجع سابق ذكره ص٢٤٥.

المصريين والملحنين أمثال بليغ حمدي وبعض فناني الكوميديا، فقد شاهدت مرة على شاشة التليفزيون المرحوم الفنان فايز حلاوة عندما كان يحكي أنه في ليال كثيرة كان السَّادات يتصل به تليفونيًا ويقول له بالحرف « ولا يا فايز شوف لنا الود بليغ في أي .. وهاته وتعال» ، وكان ذلك دائمًا ما يكون في الساعات الأولى من الفجر، وأعتقد أن ذلك كان ضروريًا لامتصاص ردود فعله التي بدا عليها الاضطراب والانفعال تجاه المعارضة الشرسة التي كان يتعرض لها من وقت لآخر..»[1]

ويبدو من خلال هذه الرؤية أن هناك فنانين كانوا يقومون بدور مسلٍّ للسادات ومخفف لمتاعبه وخاصة في أوقات المعارضة الشديدة له، وكأنه لا يحب الفن إلى من خلال هذا الدور.

السادات وتكريم الفنانة عقيلة راتب

(١) د. أحمد عبد اللطيف شيحة : بين العصرين – دار المعارف ٢٠٠٧ ص ١٠٧ ، ١٠٨.

ب- السادات وليلة الثورة والذهاب إلى السينما

-دارت خلافات عدة حول دور السادات في قيام الثورة أو على وجه التحديد ليلة قيام الثورة، حيث قيل : إنه تعمد الذهاب إلى السينما وافتعال مشكلة حتى لا يتورط في مساءلة في حالة فشل الثورة Revolution..!!

-يذكر عبد الله إمام : «إن السادات (١٩١٨-١٩٨١) لم يشارك ليلة الثورة.. والسادات يرجع عدم مشاركته إلى أنه: في يوم ٢١ من يوليو ١٩٥٢ أرسل عبد الناصر رسالة لي مع حسن إبراهيم تسلمتها في مطار العريش يطلب مني فيها أن أنزل إلى القاهرة يوم ٢٢ من يوليو لأن الثورة قد تحدد لقيامها ما بين ٢٢ من يوليو و من ٥أغسطس، وفعلًا وصلت القاهرة يوم ٢٢ من يوليو، ولكني لم أجد عبد الناصر في انتظاري على محطة السكة الحديد كعادته، فقلت في نفسي، لابد أن الموقف لم يحن بعد، ولذلك توجهت إلى بيتي واصطحبت زوجتي إلى السينما، ولكني عندما عدت إلى البيت في منتصف الليل وجدت بطاقة من عبد الناصر يطلب مني فيها أن أقابله في منزل عبد الحكيم عامر الساعة ١١ مساء، وعلمت من البواب الذي سلمني هذه البطاقة أن عبد الناصر قبل أن يترك البطاقة أتى إلى بيتي.. مرة الساعة الثالثة مساء ومرة أخرى في العاشرة»[١].

-ويروى بعد ذلك السادات أنه بدل ملابسه وأخذ مسدسه وارتدى الملابس العسكرية واتجه إلى ثكنات الجيش، ولكنه لم يتمكن من الدخول، حيث عاونه عبد الحكيم عامر في دخول القيادة، وعرف من عامر أن القيادة قد سقطت وكتب السادات بنفسه في كتابه «البحث عن الذات» قائلًا بالنص: «وكدت أجن كيف تقوم الثورة.. ولم أشارك فيها»[٢].

(١) عبد الله إمام : الطريق إلى كرسي الرئاسة انقلاب السادات – دار الخيال ص١٢.

(٢) عبد الله إمام : مرجع سابق ذكره ص١٣.

-وينتقد إمام السادات في عدم مشاركته قيام الثورة قائلًا: «ولم يذكر السادات أنه ذهب إلى سينما الروضة الصيفية، وكانت تعرض ثلاثة أفلام، وأنه افتعل مشاجرة مع الجالسين إلى جواره ورغم تدخل الحاضرين لتسوية الخلاف إلا أنه أصر على أن يسجل مذكرة في نقطة الروضة التابعة لقسم مصر القديمة، إن هذا التصرف في حد ذاته يدل على عقلية متآمرة»[1].

-فالذهاب إلى السينما - كما يذكر - إمام - يعني بالنسبة لرجال الثورة نجاحهم أنه ليس موجودًا أو لم يعلم.. وتحرير المحضر في الشرطة إثبات بالنسبة للحكومة - في حالة فشل الثورة - أنه لم يشارك وأنه كان بالسينما»[2].

-ثم يستطرد إمام - في تفنيد رواية «السادات» ، فقال: «ثمّ هل يمكن أن ينتظره عبد الناصر على محطة السكة الحديد وهو يستعد للثورة حتى إذا كان يفعل ذلك تمامًا - ثم إذا كان عبد الناصر قد مرّ عليه في الساعة الثالثة بعد الظهر ولم يجده والسينما الصيفية موعدها بالليل فأين كان.. لا شك أنه قد جاء من العريش وتعمد ترك منزله مبكرًا جدًا هو وزوجته - وتعمد عدم العودة إليه - وإلا لأخبره البواب أو أخبر زوجته بتلك الزيارة قبل ذهابه إلى السينما ، وخاصة إن عبد الناصر مر عليه في الساعة الثالثة عصرًا والسينما الصيفية تبدأ عملها بعد غروب الشمس.. ثم.. إذا كان قد جاء من أجل الإعداد للثورة التي لا يعلم موعدها ولم يجد عبد الناصر إخوانه ليقف على السبب الذي جاء من أجله.. أو على الأقل ينتظر في منزله.. أو لا يخرج من منزله قبل الثالثة ظهرًا، ولا يعود إليه إلا بعد منتصف الليل خاصة وعبد الناصر لم يكن ينتظره كعادته فربما حدث شيء»[3].

(١) عبد الله إمام : مرجع سابق ذكره ص١٣.
(٢) عبد الله إمام : مرجع سابق ذكره ص١٣.
(٣) عبد الله إمام : مرجع سابق ذكره ص١٣.

ويؤكد عبد الله إمام أن السادات كان يعرف الميعاد الحقيقي للثورة، وحين سأل عبد اللطيف البغدادي (١٩١٧-١٩٩٩) وأكد له ذلك كما سأل حسن إبراهيم أيضًا وأكد له أن السادات (١٩١٨-١٩٨١) كان يعرف الميعاد الحقيقي للثورة، وأنه أبلغه بذلك.

-ويؤكد عادل حمودة في كتابه «النكتة السياسية» عن أن السادات تعمد أن يذهب إلى سينما الروضة يوم قيام الثورة قائلًا: «في ليلة ثورة يوليو تعمد أنور السادات أن يدخل سينما «روضة النيل».. وتعمد أن يشاهد الأفلام الثلاثة التي تعرضها.. وتعمد المشاجرة والذهاب إلى قسم الشرطة وتحرير محضر ليثبت -إذا ما فشلت الثورة- أنه كان في السينما!»[1].

-سواء كان التصرف -كما يذكره حمودة- براعة من السادات أو هروبًا، فإنه تحول إلى نكتة، فعندما كان أحد يسأل: «هو السادات فين؟»، كان زملاؤه في مجلس قيادة الثورة يقولون: «في السينما!».

-وفيما بعد.. عندما قابل الرئيس الأمريكي رونالد ريجان (١٩١١-٢٠٠٤م) -وهو ممثل أصلًا- أراد السادات أن يجامله فقال له: إنه في ليلة الثورة كان يشاهد السينما.. وأن أحد الأفلام الثلاثة كان من تمثيله.. فرد الرئيس الأمريكي عليه قائلًا: «لقد ساهمت إذن في ثورتكم، وكان لي دور في نجاحها..».

-وفي كتاب صدر في السنوات الأخيرة للكاتب الصحفي «يوسف الشريف» بعنوان «مما جرى في بر مصر» أكد فيه أنه كان شاهد عيان وشقيقته الأديبة الراحلة «عايدة الشريف» على واقعة السادات بسينما

(١) عادل حمودة: مرجع سابق ذكره ص٢٥٥.

الروضة ، حيث كانت السينما في شارع النيل تعرض ثلاثة أفلام، فيلمين أجنبيين والثالث عربيًا.. وأنه قد «وصل السادات وحرمه بعد عرض الفيلم الأجنبي الأول، وجلسا في منتصف الصف الثالث من مقاعد البلكون»، وأنه بعد فترة وفجأة سمعنا همهمة خلفنا.. تحولت بعد ذلك إلى صخب ومشاجرة.. وعرفنا الحكاية إذ كان أحد الزبائن وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره يرتدي قميصًا وبنطلونًا وقد وصل متأخرًا، وفي طريقه للوصول إلى مقعد خال في الصف الذي يجلس عليه السادات وزوجته كان على الزبائن أن يفسحوا له طريقًا للمرور عبر التراجع بأجسامهم إلى الخلف.. ولكن عندما وصل الشاب إلى مكان السادات زعق فيه قائلاً: «ما تحاسب يا أخينا.. أنت أعمى ولا إيه؟! وعلى الرغم من مبادرة الشاب إلى الاعتذار ومروره ثم جلوسه على مقعد إلاّ أن السادات عاد يوبخه بصوت عال.. وثارت ثائرة الشاب وراح يرد على إهانة السادات.. وتدخلت إدارة السينما كعادتها لفض الاشتباك.. لكن السادات كما عرفنا فيما بعد خلال فترة الاستراحة أصر على سحب الشاب إلى نقطة شرطة الروضة وتحرير محضر بالحادث، ثم عاد مرة ثانية..»[1].

-ويذكر الشريف أنه : «وخلال وجود السادات في سينما الروضة كانت القوات الموالية لتنظيم الضباط الأحرار بقيادة يوسف صديق قد تحركت في طريقها إلى القيادة العامة للقوات المسلحة في حدائق القبة قبيل ساعة الصفر التي تحددت لاندلاع الثورة.. وعندئذ وصل السادات متأخرًا عندما أدرك نجاح الثورة.. حيث اقتصر دوره على مجرد إلقاء البيان الأول لمجلس قيادة الثورة في الإذاعة الذي سبق وأن ألقاه المذيع جلال معوض..»[2].

(١) يوسف الشريف : مما جرى في بر مصر – دار الشروق – الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م ص١٤٤ وما بعدها.

(٢) يوسف الشريف : مما جرى في بر مصر ص١٤٤.

-وقد ارتأى غالي شكري (١٩٣٥-١٩٩٨) في كتابه «الثورة المضادة في مصر» أن : «السادات وقد تأخر في حياته مرتين:

المرة الأولى: التي تأخر فيها «البكباشي» أنور السادات فهي ليلة ٢٣ من يوليو «تموز» ١٩٥٣، فقد تأخر عن «ساعة الصفر»، التي حددها له جمال عبد الناصر في بطاقة تركها له في منزله قبل ساعات من قيام الانقلاب.. كان السادات خلالها يشاهد مع أسرته فيلمًا سينمائيًا في دار عرض قريبة من بيته، وهو لم يمنح أحد فرصة الهمس في هذه الواقعة، بل وضع لها حدًا، حين اعترف بها مرارًا في ذكرياته الإذاعية والصحفية والتليفزيونية، ولكن هذا «التأخير» كما يضيف البعض كان متعمدًا، ويؤكدون هذا الرأي بواقعة أخرى متممة لمشاهدة السينما لم يحدث أن ذكرها «السادات» أبدًا، وبالتالي فتصديقها أو تكذيبها متروك له شخصيًا أو لمؤرخيه من بعده، تقول الواقعة: أن أسرة «الضابط الأسمر» افتعلت شجارًا بعد نهاية العرض مع آخرين وسيقوا جميعًا إلى قسم الشرطة، حيث سجل «المحضر» مثول أنور السادات وتوقيعه بعد منتصف ليلة ٢٣ من يوليو «تموز» ١٩٥٢..»[١].

-وكانت المرة الثانية التي «تأخر» فيها السادات هي يوم وفاة الرئيس عبد الناصر، فقد كان آخر الذين وصلوا بيت الرئيس، وهو لم يحضر ساعات النضال المريرة ضد الموت، ولم يشاهد الرئيس حيًا قبل هذا المساء الحزين (في ٢٨ سبتمبر -أيلول ١٩٧٠) بأكثر من ثلاثة أشهر..»[٢].

-ومن خلال هذه الروايات والتي تحدثت عن واقعة ذهاب السادات إلى السينما ليلة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ ومعه زوجته «جيهان السادات»، وافتعال مشاجرة بقصد إثبات وجوده رسميًا.. نرى الموضوع لا يخلو من تفسيرين: أحدهما: ضعيف مرجوح، والآخر قوي الحجة راجح ونميل إليه وهما على النحو التالي:-

(١) غالي شكري: الثورة المضادة في مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٣٢.
(٢) غالي شكري: مرجع سابق ذكره ص٣٢.

الأول المرجوح: هو أن التراشق اللفظي بين البكباشي «أنور السادات» والشاب الآخر قد تزايد بشكل مقزز ومستفز، فدفع السادات إلى الاندفاع إلى تحرير محضر بشرطة الروضة ضد هذا الشاب المتجرئ لرده الإهانات والسباب على السادات في حضور زوجته مما سبب له حرجًا بالغًا أراد أن يحافظ عليها بقدر الاستطاعة.

الرأي الثاني الراجح: أن السادات وقد تمرس على العمل السّري سنوات طويلة وتم سجنه بسبب ذلك، فجعله هذا العمل السّري أو ما يطلق عليه «العمل السياسي تحت الأرض» أن يكون حذرًا أشد الحذر ومتشككًا أيما تشكك ومتخوفًا من النتائج غير المضمونة، ويأخذ جانب الحيطة، وخاصة في حالة قيام ثورة وانكشاف أمرها ليلة قيامها، مما يعرضه إلى الإعدام طبقًا للقواعد العسكرية الصارمة، لأنها «جريمة الخيانة العظمى» .. ومن ثمَّ.. فقد دفعته حاسة الحذر والحيطة والتشكك إلى الذهاب إلى دار السينما وافتعال مشكلة وإثبات هذه «المشكلة» أو «المشادة» في محضر رسمي لتأكيد وجوده أثناء قيام الثورة.. وهذا ما أكده «يوسف الشريف» في كتابه المذكور وإصرار السادات على تحرير محضر رغم تدخل إدارة السينما لفض الاشتباك...!!!